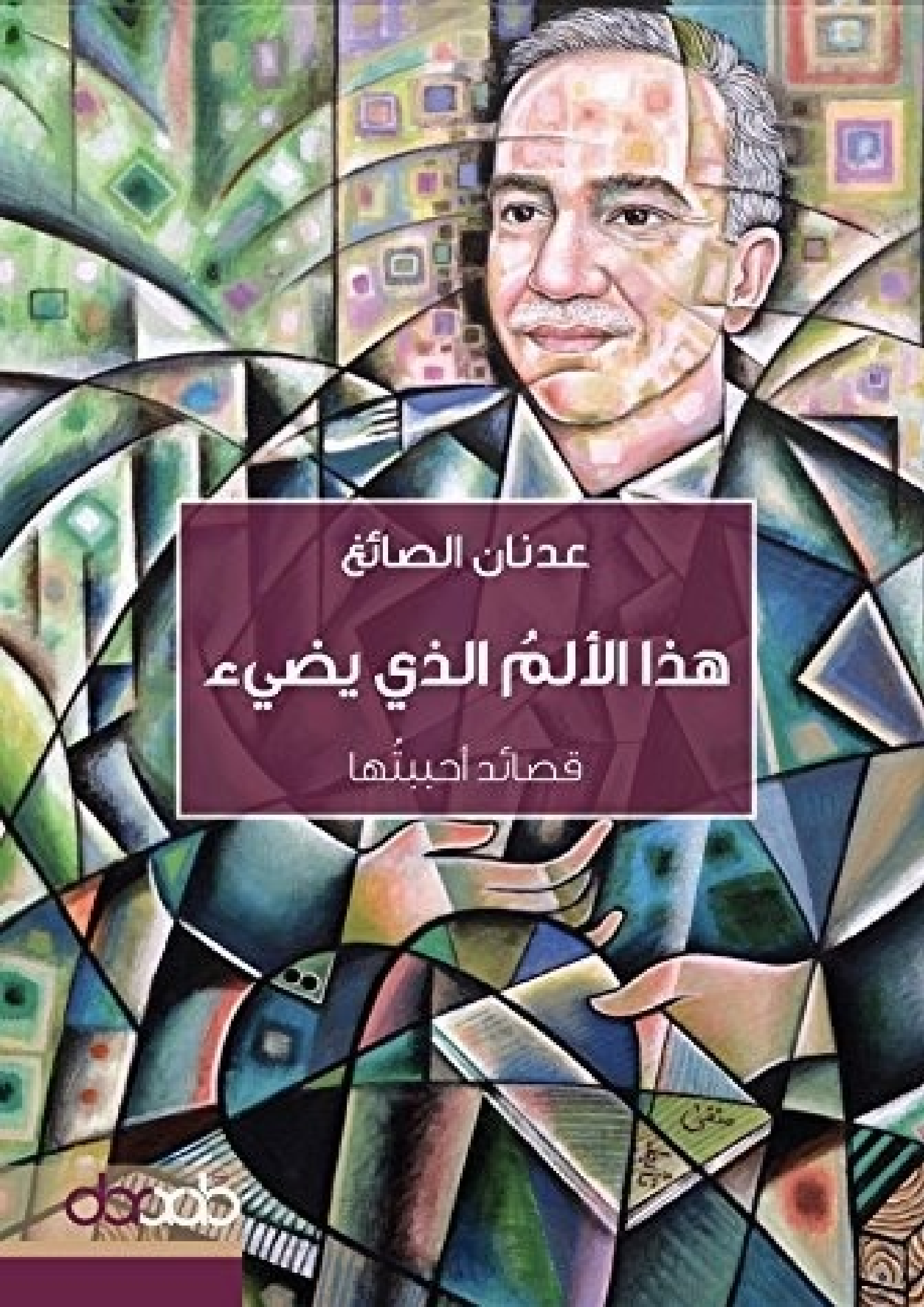
عدنان الصائغ
هذا الألمُ الذي يضيء
قصائد أحببتُها

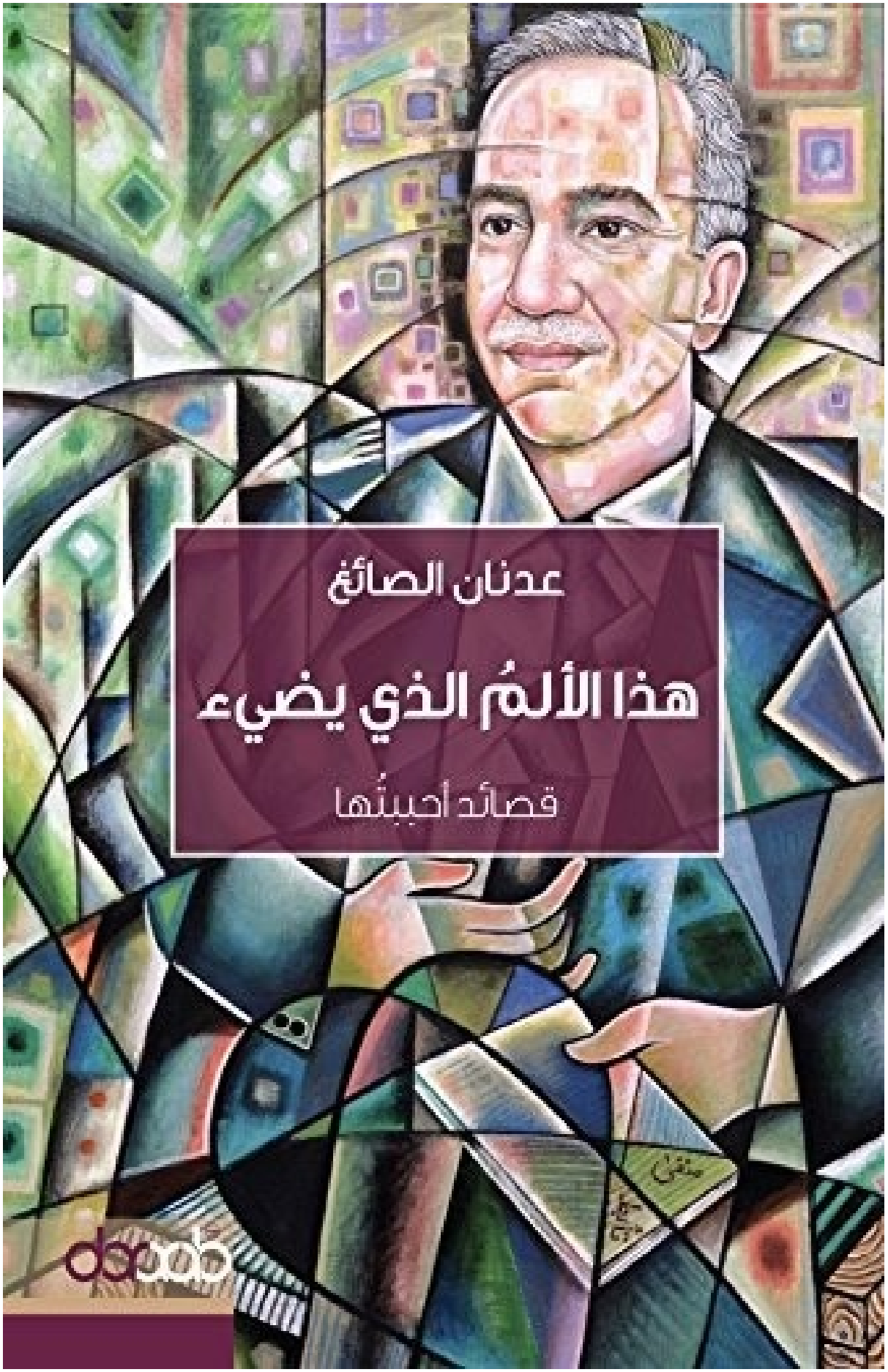
عدنان الصائغ
هذا الألمُ الذي يضيء
قصائد أحببتُها

عدنان الصائغ

هذا الألمُ الذي يضيء

قصائد أحببتُها

(ثلثُ قرنٍ من الشعر والغربة والألم)

دار عرب للنشر والترجمة
DAR ARAB FOR PUBLISHING & TRANSLATION
2017

عدنان الصائغ

هذا الألم الذي يضيء (قصائد أحببتها)

Adnan al-Sayegh

This Pain That Shines (Poems I Loved)

الطبعة الأولى **2017**

ISBN 978-1-78871-001-5

حقوق الطبع محفوظة ©

دار عرب للنشر والترجمة

DAR ARAB FOR PUBLISHING & TRANSLATION

info@dararab.co.uk

www.dararab.co.uk

Copyrights @ dararab 2017

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية، بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى، بما فيها حفظ المعلومات أو استرجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

صورة الغلاف الشاعر بريشة الفنان ستار كاووش - هولندا

Cover: **Sattar Kawoosh - Netherlands**

تصميم الغلاف: **محمد النبهان**

الفهرست

من ديوان (و..)

كأس

ما... والخ

تشكيل

رسائل

...!؟

مرآة 5

تاريخ

من ديوان (تأبـّطَ منفى)

تأويل

أبواب

حنين

العراق

ثلاثة مقاطع للحَيْرَة

رقعةُ وطن

شهداء الانتفاضة

الحلّاج

نقود الله

خطوط

شكوى

حساب

رجاء

تكوينات

العبور إلى المنفى

أوراق من سيرة تأبَّطَ منْفى

المحذوف من رسالة الغفران

من ديوان (تشيد أوروك)

مقاطع مختارة من (نشيد أوروك)

من ديوان (تكوينات)

مَرْثِيَة عازف النشيد الوطني

غياب

قُبلة

رقيب داخلي

تكوينات

من ديوان (تحت سماء غريبة)

بورتريه

ثمالة

شاعر

طلقة

غربة

في حديقةِ الجُنْدِيِّ المجهول

سذاجة

قصائد البحر

قصائد المطر

تنويعات

من ديوان (غيمة الصمغ)

وداعاً..

بكائية لامرىء القيس

مرايا متعاكسة

رفيف

غيمة الصمغ

من ديوان (مرايا لشعرها الطويل)

هذا الألم.. الذي يُضِيءُ

انكسارات حرف العين

البحث عن عنوان

من ديوان (سماء في خوذة)

آخر المحطَّات.. أول الجنون

أمسية شعرية

ارتباك

لا اسمَ للحرب

من ديوان (العصافير لا تحب الرصاص)

طلقة

ساحة ميسلون...

هواجس لا تعني أحداً

في المكتبة
تساؤل خاص

من ديوان (أغنيات على جسر الكوفة)

مصادفة
أُغنياتٌ.. لها
أُمّي
في المقهى...
زهرةُ عَبَّاد الشمس
حقائب الغد
ريح

من ديوان (انتظريني تحت نصب الحرِّية)

سلاماً.. يا جسرَ الكوفة
مقاطع
أشياء .. عن علوان الحارس
مَنْ أين تأتي القصيدةُ؟

كأس

في الحانة:
كانتْ بغدادُ،
خيوطَ دُخان
تتصاعدُ
من أنفاسِ الجلاّسْ
وأصابع عازفةٍ، سكرى،
تتراقصُ بين الوترِ المهموسِ،
وبين الكأسْ
وإلى طاولتي، يَجلِسُ قلبي
ملتحفاً غُصَّتَهُ
يرنو ولهاً للخَصْرِ الميّاسْ
ووراءَ زُجاجِ الحانةِ أشباحٌ
تترصَّدُني،
تُحصِي حولي الأنفاسْ
وأنا محتارٌ
- يا ربِّي -
أينَ أديرُ القلبَ؟
وأينَ
أديرُ
الرأسْ؟

6 /4 /2001 مالمو

ما... والخ

يموّسقني صوتُها حينَ ينداح
- هل تُتقِنُ الرقصَ!؟
- لا..
رقّصتني القذائفُ
ذاتَ الخِبالِ،
... وذاتَ الخببْ
.....
أنا شاعرٌ؛ دارَ بي زمني،
.. واستدارَ
أقولُ لثوبِكِ يخفقُ في الريحِ
هل تُبْصِرينَ - وراءَ الزجاجِ - الغيومَ التي تترقرقُ بين قميصي
وقلبيَ؟
مدّي يديكِ إلى غُصْنِهِ، تَلمسي نبضَهُ راعشاً؛ والعَصَافيرَ
.....
هل تهجسين الذي تحت بنطاليَ الرثِّ يصعدُ، أو يتمرَّغ، بين الحشائشِ..؟
هل تشعرين مياهي الدفيئةَ تصعدُ في النسغِ
تورقُ - في غابكِ المشتهى –
زهرةً..
أو شفقْ
آهِ يا جسدي..
آهِ يا لغتي
شَتَّتَني الطرقْ
كلّما صحتُ يا ظمئي
فاحَ منكِ العَبَقْ
.....
رأيتُ لثغركِ يفترُّ عن خجلٍ وأقاحْ
أترينَ لثغريَ كيفَ تَلمَّظَ

كيف تتعتعتُ من دونِ راحْ
وكيف استراحتْ يدايَ على خَصْرِكِ البان
وانتصبَ السيسبان
وغبنا بإحدى الزوايا
وغابَ الزمان
.....
لمْ أكنْ حين طوَّقت خَصْرَكِ في الحفلِ
أُدرِكُ أنَّ المسافةَ بين رضابِكِ والخمرِ،
بين جنونيَ والشِعرِ
أقربُ مِمَّا يظنُّ المسا، وأظنُّ..
تموّهني الهمهماتُ
فأصعدُ نحو المنصَّةِ
ماذا سأقرأُ...؟
.....
خَصْرُكِ ما زالَ بين يدي يتأوَّد
بين المديدِ،
وبين الهَزَجْ
...
....
هل قلتُ شِعراً...!!
فلماذا، إذاً؛ صَفَّقَ الحاضِرون!؟

تشكيل

صريرُ رُ رُ رُ

باااااااابْ

ولا

من

جوابْ

هكذا،

سوف يمضي بنا الاغتراب

28 /10 /2006 لندن

الكتبُ التي في غُرْفَتي

بماذا

تتحاورُ

في غيابي

1 /1 /2001 مالمو

*

لستُ وحيداً

وحدتي

معي

5 /12 /1999 ستوكهولم

*

انتصابُ القممِ

ولوجٌ

دائمٌ

في

الفضاء

15 /10 /2008 شيكاغو

*

إذا

كان
رأسُكَ
من
زجاجْ
فلا
تناقشُ
الناسَ
بالحجارةْ

6 /4 /2001 مالمو

*

يَعِدُوننا بالجنانِ الواسعةِ
كي
يسحبوا
من
تحتنا
الأرض

1 /2 /2007 جامع الأزهر - القاهرة

*

أَسْقَطوا
تمثالَ الدكتاتور
من ساحةِ المدينةِ
فامتلأتْ؛ ثانيةً، بتماثيلهم

4 /1 /2004 مسجد الكوفة

*

.. أعداءٌ كثيرون
من حروبٍ لمْ أخضْها
من أين أتيتَ لي
بهم؛
أَيّها الشِعر

13 /7 /2008 لندن

*

يَعْبُرُ ـــــ نا الأملُ؛

- ساخراً -

بين صفَّي عُكَّازاتِنا

الملوِّحة،

له

7 /10 /2008 تورنتو - كندا

*

في الحانةِ الصاخبة

لا أسمَعُكِ،

ولا تسمَعينني

فَدَعِي شفاهَنا

تُكمِلُ حوارَنا

26 /10 /2009 مقهى «اللوفر» - براغ

رسائل

نثيثُ الثلجِ
على نافذةِ منفاي؛
رسائل متجمِّدة وصلتني من هناك
هكذا يُخيَّل لي
بينما ساعيةُ البريدِ على درَّاجتِها الهوائيَّةِ
تشيرُ أنْ لا رسائلَ لي اليوم

31 /12 /1996 لوليو

؟!...

وطنٌ أم زنزانة

الحاكمُ أضحى سَجَّانَه

نحنُ المحكومين به منذ زمانْ

يتوارثنا سَجَّانٌ

عن

سَجَّانْ

من باب الجامع؛

حتى الحانة

مرآة 5

رجلٌ سكِّير
شبقٌ..
يُخاصِرُكِ في الحانةِ
وأنا أرقبُهُ بغَيْرَةٍ
رغمَ أنَّهُ لمْ يكنْ أحدٌ سواي

29 /11 /2009 حانة في Portsmouth ، بريطانيا

تاريخ

رؤوسٌ

... تتدحرجْ

رؤوسٌ

... تتدرَّجْ

صعوداً

أو

هبوطاً

على سَلالم الطبول

و.. الأنين

ذلكمْ هو التاريخ

12 /2 /2005 مكتبة المتحف البريطاني - لندن

تأويل

يُملونني سطوراً
ويُبوّبونني فصولاً
ثم يُفهرسونني
ويطبعونني كاملاً
ويُوزّعونني على المكتباتِ
ويَشْتمُونني في الجرائدِ
وأنا
لمْ
أفتحْ
فمي
بعد

7 /3 /1996 دمشق

أبو اب

أَطْرُقُ باباً

أفتحهُ

لا أُبْصِرُ إلّا نفسي باباً

أفتحُهُ

أدخُلُ

لا شيء سوى بابٍ آخر

يا ربِّي

كمْ باباً يَفْصِلُني عَنِّي

1 /12 /1998 مالمو

حنين

لي بظلِّ النخيلِ بلادٌ مسوَّرة بالبنادق
كيف الوصولُ إليها
وقد بعد الدربُ ما بيننا والعتابْ
وكيف أرى الصَحْبَ
مَنْ غُيّبوا في الزنازين
أو كرّشوا في الموازين
أو سُلّموا للترابْ
إنَّها محنةٌ - بعد عشرين -
أنْ تُبْصِرَ الجسرَ غيرَ الذي قد عبرتَ
السماواتِ غيرَ السماواتِ
والناسَ مسكونةً بالغيابْ

3 /12 /1996 بودن – جنوب القطب

العراق

العراقُ الذي يبتَعدْ
كلّما اتَّسَعَتْ في المنافي خطاهْ
والعراقُ الذي يَتَّئِدْ
كلّما انفتحتْ نصفُ نافذةٍ..
قلتُ: آهْ
والعراقُ الذي يرتَعدْ
كلّما مرَّ ظلٌّ
تخيَّلتُ فوَّهةً تترصَّدُني،
أو متاهْ
والعراقُ الذي نَفْتَقدْ
نصفُ تاريخه أغانٍ وكُحْلٌ..
ونصفٌ طغاهْ

حزيران 1997 روتردام

ثلاثة مقاطع للحَيْرَة

(1)

قال أبي:
لا تَقْصُصْ رؤياكَ على أحدٍ
فالشارعُ ملغومٌ بالآذانْ
كلُّ أُذُنٍ
يَرْبِطُها سلكٌ سِرِّيٌّ بالأخرى
حتى تصلَ السلطانْ

10 /3 /1996 دمشق

(2)

بعد أنْ يسقطَ الجنرالُ من المشنقة
بعد أنْ يَرْسُمَ الطيرُ دورتَهُ
في الهواء الطليقْ
بعد أنْ تتخضَّب راياتُنا
بالدماءِ....
ما الذي نفعلُ؟

19 /7 /1996 بيروت

(3)

جالساً بظلِّ التماثيلِ
أقلِّم أظافري الوسخةَ
وأُفكِّرُ بأمجادِهم الباذخةِ
هؤلاء المنتصبون في الساحات
يُطلِقون قهقهاتِهم العاليةَ
على شعبٍ يطحنُ أسنانَهُ من الجوعِ
ويبني لهم أنصاباً من الذهبِ والأدعية

2 /2 /1997 لوليو

رقعةُ وطن

ارتبكَ الملكُ
وهو يرى جنودَهُ محاصرين
من كلِّ الجهاتِ
والمدافعَ الثقيلةَ تدُّك قلاعَ القصرِ
صرخ:
أين أفراسي؟
- فطستْ يا مولاي
- أين وزيرُ الدولة!؟
- فرَّ مع زوجتكَ يا سيِّدي
في أولِ المعركةِ
تنحنحَ الملكُ مُعدَّلا تاجهُ الذهبي
وعلى شفتيه ابتسامةٌ دبقةٌ:
ولكنْ أين شعبي الطَيِّبُ؟
لمْ أعدْ أسمعْهُ منذُ سنينٍ
فأنفجرَ الواقفون على جانبي الرقعةِ
بالضحكِ
- لقد تأخَّرت يا سيِّدي في تَذَكُّرِنا
ولم يبقَ لنا سوى أنْ نُصفِّقَ للمنتصرِ الجديد

تموز 1997 باحة قصر هاملت – الدنمارك

شهداء الانتفاضة

هؤلاء الذين
تساقطوا أكداساً
أمامَ دبّابات الحرسِ
هؤلاء الذين حَلَمُوا كثيراً بالأرضِ
قبل أنْ يحلّقوا بأجنحتهم البيضاء
هؤلاء الذين نما على شواهدِ قبورِهم صبُّير النسيان
هؤلاء الذين تآكلتْ أخبارُهم
شيئاً، فشيئاً..
في زَحْمَةِ المدينة
إنَّهم يتطلَّعون بعيونٍ مشدوهةٍ
إلى قدرتِنا على نسيانِهم بهذهِ السرعة

1992 بغداد

الحلّاج

أصعدني الحلّاجُ
إلى أعلى تلٍّ
في بغداد
وأراني
كلَّ مآذِنِها
ومعابدِها
وكنائسِها ذات الأجراسْ
وأشار إليَّ:
- أحْصِ
كم دعوات حرّى تتصاعد يومياً من أنفاسِ الناسْ
لكنْ
لا أحدَ
حاولَ أنْ يصعدَ
في معناهُ إلى رؤياهُ
لِيُرِيْهِ..
ما عاثَ طغاةُ الأرضِ
وما اشتطَّ الفقهاءُ
وما فعلَ الحرّاسْ

بيروت 10 /8 /1996

نقود الله

على رصيفِ شارعِ الحمراء
يَعبُرُ رجلُ الدين بِمِسْبَحَتِهِ الطويلةِ
يَعبُرُ الصعلوكُ بأحلامِهِ الحافيةِ
يَعبُرُ السياسيُّ مُفخَّخاً برأسِ المال
يَعبُرُ المثقفُ ضائعاً
بين سوهو وحي السُلَّم
الكلُّ يمرُّ مسرعاً ولا يلتفتُ
للمتسوِّل الأعمى
وحدهُ المطرُ ينقُّط على راحتِهِ الممدودةِ
باتجاهِ الله

1996 مقهى الكوفي دو باغيه - بيروت

خطوط

أنتَ تمضي أَيّها المستقيمُ
دون أنْ تلتفتَ
لجمالِ التعرِّجات على الورقِ
أنتَ تملكُ الوصولَ
وأنا أملكُ السِعَة

1998 مالمو

شكوى

نَظَرَ الأعرجُ إلى السماء
وهتفَ بغضبٍ:
أَيّها الربُّ
إذا لمْ يكنْ لديكَ طينٌ كافٍ
فعلامَ تعجَّلت في تكويني

1994 عمّان

حساب

أَيّها الربُّ
افرشْ دفاترك
وسأفرش أمعائي
وتعال نتحاسبْ

1996 بيروت

رجاء

عُمْرٌ..
أو عشرةُ أعمارْ
لا تكفي
يا ربِّي
كي أشبعَ من صحنِ أنوثتها
فامنحني إيّاها
بدلاً من حورك
والأنهارْ
أَوَلَيْسَتْ لي حُرِّيَةُ أنْ أختارْ

1996 بيروت

تكوينات

لا تقطفِ الوردةَ
انظرْ ...
كمْ هي مزهوّة
بحياتها
القصيرة
*
كلّما ارتفعتْ منائرُهم
خَفَتَ صوتُ الجائع
*
باستثناءِ شفتيكِ
لا أَعْرِفُ
كيفَ أقطفُ الوردةَ
*
أَصلُ أو لا أَصلُ
ما الفرق
حين لا أَجدُكِ
*
هل تتذكَّرُنا المرايا
حين نغيبُ عنها
تنويعات
لا وطن للشمعةِ
خارجَ ظلامِها
*
الأسماكُ كثيرةٌ
وشِباكي ممزَّقة
يا للؤم البحر
*

الأقدامُ... ..
التي تسيرُ
في كلِّ اتجاهٍ..
لا تصل

العبور إلى المنفى

أنينُ القطارِ يثيرُ شجنَ الأنفاقْ
هادراً على سِكَّةِ الذكرياتِ الطويلة
وأنا مُسمَّرٌ إلى النافذةِ
بنصفِ قلب
تاركاً نصفَهُ الآخرَ على الطاولة
يلعبُ البوكرَ مع فتاةٍ حسيرةِ الفخذين
تسألُني بألمٍ وذهول
لماذا أصابعي مُتهرِّئة
كخشبِ التوابيتِ المُستَهلَكَة
وعجولة كأَنَّها تخشى ألَّا تُمسِك شيئاً
فأُحدِّثُها عن الوطن
واللافتاتِ
والاستعمار
وأمجادِ الأُمّة
والمضاجعاتِ الأولى في المراحيض
فتميلُ بشَعرِها النثيثِ على دموعي ولا تفهم
وفي الرُكْنِ الآخرِ
ينثُرُ موزارت توقيعاتِهِ على السهوبِ
المُغطَّاة بالثلج...
وطني حزينٌ أكثر مِمَّا يجب
وأُغنياتي جامحةٌ وشرسة وخجولة
سأتمدَّدُ على أولِ رصيفٍ أراهُ في أوربا
رافعاً ساقيَّ أمام المارِّة
لأُرِيهم فلقاتِ المدارسِ والمعتقلاتِ
التي أَوْصَلَتني إلى هنا
ليس ما أَحمِلُهُ في جيوبي جوازُ سفر
وإنَّما تاريخُ قهر

حيث خمسون عاماً ونحن نجترُّ العلفَ

والخطاباتِ....

.. وسجائرَ اللفِّ

حيث نقفُ أمام المشانق

نتطلَّعُ إلى جثثِنا الملولحة

ونُصفِّقُ للحكّام

.. خوفاً على ملفَّاتِ أهلِنا المحفوظةِ في أقبيةِ الأمن

حيث الوطن

يبدأُ من خطابِ الرئيس

.. وينتهي بخطابِ الرئيس

مروراً بشوارعِ الرئيس، وأغاني الرئيس، ومتاحفِ الرئيس، ومكارم الرئيس، وأشجارِ الرئيس، ومعاملِ الرئيس، وصحفِ الرئيس، وإسطبلِ الرئيس، وغيوم الرئيس، ومعسكراتِ الرئيس، وتماثيل الرئيس، وأفرانِ الرئيس، وأنواطِ الرئيس، ومحظياتِ الرئيس، ومدارس الرئيس، ومزارع الرئيس، وطقسِ الرئيس، وتوجيهاتِ الرئيس....

ستُحدِّقُ طويلاً

في عينيَّ المبتلَّتين بالمطر والبصاق

وتسألُني من أيِّ بلادٍ أنا...

أوراق من سيرة تأبَّطَ منْفى

(1)

أتسكَّع تحتَ أضواءِ المصابيحِ
وفي جيوبي عناوين مُبلَّلَةٌ
حانةٌ تطردُني إلى حانةٍ
وامرأةٌ تُشهِّيني بأخرى
أعضُّ النهودَ الطازجةَ
أعضُّ الكتبَ
أعضُّ الشوارعَ
هذا الفمُ لا بدَّ أنْ يلتهمَ شيئاً
هذه الشفاهُ لا بدَّ أنْ تنطبقَ على كأسٍ
أو ثغرٍ
أو حجرٍ
لمْ يجوّعني اللهُ ولا الحقولُ
بل جوّعتني الشعاراتُ
والمناجلُ التي سبقتني إلى السَنَابِلِ
أَخْرُجُ من ضوضائي إلى ضوضاءِ الأرصفةِ
أنا ضجرٌ بما يكفي لأنْ أرمي حياتي
لأَيَّةِ عابرةِ سبيلٍ
وأمضي طليقاً
ضجراً من الذكرياتِ والأصدقاءِ والكآبةِ
ضجراً أو يائساً
كباخرةٍ مثقُوبةٍ على الجرفِ
لا تستطيعُ الإقلاعَ أو الغرق

تشرين ثاني 1993 عدن

(2)

كتبي تحتَ رأسي
ويدي على مقبضِ الحقيبةِ

السهولَ التي حَلَمْنا بها لمْ تمنحْنا سوى الوحولِ
والكتبُ التي سطَّرناها لمْ تمنحْنا سوى الفاقةِ والسياطِ
أقدامي امحتْ من التسكِّع على أرصفةِ الورقِ
وأُغنياتي تكسَّرتْ مع أقداحِ الباراتِ
ودموعي مُعلَّقة كالفوانيسِ على نوافذِ السجونِ الضيِّقةِ
أفردُ خيوطَ الحِبْرِ المتشابكةَ من كرةِ صوفِ رأسي
وأنثرها في الشوارعِ
سطراً سطراً،
حتى تنتهي أوراقي
وأنام

آذار 1996 دمشق

(6)

سأقذفُ جواربي إلى السماءِ
تضامناً مع مَنْ لا يملكون الأحذيةَ
وأمشي حافياً
ألامسُ وحولَ الشوارعِ بباطنِ قدميَّ
محدَّقا في وجُوهِ المتخمين وراءَ زجاجِ مكاتبهم
آه..
لو كانتِ الأمعاءُ البشريَّةُ من زجاجٍ
لرأينا كمْ سرقوا من رغيفنا
أيّها الربُّ
إذا لمْ تستطعْ أنْ تملأَ هذه المعدةَ الجرباءَ
التي تصفرُ فيها الريحُ والديدانُ
فلماذا خلقتَ لي هذه الأضراسَ النَهْمَةَ
وإذا لمْ تبرعمْ على سريري جسداً املوداً
فلماذا خلقتَ لي ذراعين من كبريت
وإذا لمْ تمنحني وطناً آمناً
فلماذا خلقتَ لي هذه الأقدامَ الجوَّابة
وإذا كنتَ ضجراً من شكواي

فلماذا خلقتَ لي هذا الفمَ المندلقَ بالصراخِ
ليلَ نهار

آب 1999 براغ

(10)

أَكْتُبُ ويدي على النافذة
تمسحُ الدموعَ عن وجنةِ السماء
أَكْتُبُ وقلبي في الحقيبةِ يُصغي لصفيرِ القطارات
أَكْتُبُ وأصابعي مشتَّتةٌ على مناضدِ المقاهي ورفوفِ المكتبات
أَكْتُبُ وعنقي مشدودٌ منذ بدءِ التاريخِ
إلى حبلِ مشنقةٍ
أَكْتُبُ وأنا أحمِلُ ممحاتي دائماً
لأقلِّ طرقةِ بابٍ
وأضحكُ على نفسي بمرارةٍ
حين
لا
أجدُ
أحداً
سوى الريح

1991 بغداد

المحذوف من رسالة الغفران

مستلقياً على ظهري
أُحدِّقُ في السماءِ الزرقاء
وأُحصِي كمْ عددَ الزفراتِ التي تصعدُ إلى اللهِ كلَّ يومٍ
وكم عددَ حبَّاتِ المطرِ التي تتساقطُ من جَفْنيهِ
أديرُ قرصَ الهاتفِ
وأطلبهُ
تَرُدُّ سكرتيرتُهُ الجميلةُ
إنَّهُ مشغولٌ هذه الأيَّام
إلى أُذُنيهِ
بتقليبِ عرائضكم التي تهرّأتْ من طولِ تململها في المخازن
يا سيِّدتي أريدُ رؤيتَهُ ولو لدقيقةٍ واحدةٍ
ما مِنْ مرِّة
طلبتهُ
وردَّ عليَّ
أريدُ أنْ أسألَهُ قبلَ أنْ أُودِّعَ حياتي البائسة
وقبل أنْ يضعَ فواتيرَهُ الطويلةَ أمامي:
يا إلهي العادل
أَمِنْ أجلِ تُفَّاحة واحدةٍ
خسرتُ جنانَكَ الواسعةَ
أَمِنْ أجلِ أنْ يسجدَ لي ملاكٌ واحدٌ
لم يبقَ شيءٌ في التاريخ إلّا وركعتُ أمامه
.....
يا أبانا...
يا أبانا الرحيم
أَعْرِفُ أنَّكَ لنْ تضحكَ على ذقوننا مثلهم
لكنِّي مهانٌ ويائس
أريدُ شبراً من هذه الأرضِ الواسعةِ أضعُ عليه رأسي ونعالي وأنام

أريد رغيفاَ واحداَ من ملايين السَنَابِلِ التي تتمايس أمامي كخصورِ الراقصات

.....

.....

أجلسُ أمامَ بابِ مسجدِ الكوفة

أجلسُ أمامَ كنيسةِ لوند

أجلسُ أمامَ حائطِ المبكى

أجلسُ أمامَ معبدِ بوذا

ضاغطاً راحتيَّ على ركبتيَّ

وأُحصِي كمْ يصعدون، ظهورَنا المحدودبةَ كالسَلالم

وكم ينـزلون

ومع هذا

لا أحدَ يلتفتُ إلى دموعنا المنسابةِ كالمزاريب

أريدُ أنْ أصعدَ يوماً إلى ملكوته

لأرى..

إلى أين تذهبُ غيومُ حشرجاتنا

وهذه الأرض التي تدور

بمعاركنا وطبولنا وشتائمنا واستغاثاتنا

منذ ملايين السنين

ألمْ تُوقِظْهُ من قيلولتِهِ الكونيَّةِ

لِيُطِلَّ من شرفتِهِ

ويَنظُر لنا

مَنْ يدري

رُبَّما سَئِمَ من شكوانا

فأشاحَ بوَجْهِهِ الكريم

ونسينا إلى الأبد.

أَحْلُمُ أنْ أركلَ الكرةَ الأرضيَّةَ بحذائي المثقُوب

ولا أدعها تسقطُ

حتى أُعِيدَها إليه

كي يجيبَني

بعيداً عن جمهرةِ المفسِّرين والدراويش والوعّاظ:
إذا كنتَ وحدكَ مالكَ الغيب..
ولمْ تفشِ أسرارَكَ لأحدٍ
فكيف عَلِمَ أبليس
بأَنِّي سأعيثُ في الأرضِ فساداً
.....
وإذ كنتَ حرمتني
من دمِ العنقودِ
فلماذا أبحتهُ لغيري
.....
وإذا كان الأشرارُ لمْ يصعدوا إلى سفينةِ نوح
وغرقوا في البحرِ
فكيفَ امتلأتِ الأرضُ بهم ثانيةً
.....
و «إذا السماء انشقّتْ، وأذِنتْ لربها وحُقّتْ، وإذا الأرضُ مُدّتْ، وألقتْ ما فيها وتخلّتْ»..!
فأين ستذهبُ لوحاتُ فان كوخ،
وقصائدُ المتنبِّي،
ومسرحياتُ شكسبير،
ونهجُ البلاغة،
وسمفونياتُ موزارت
وما الذي سنجده في متاحفِ الجنّة..
.....
وإذا كنتُ سأجدُ في فراديسك الواسعة
حِبْراً
وخمراً
وصَفْصَافاً
فهل أستطيعُ نشرَ قصائدي
دونَ أنْ تمرَّ على رقيبٍ
.....

وإذا أنكحتني

عشرةَ آلافِ حورية عين... .

فماذا ستتركُ لحبيبتي

و... ..

و.....

. .....

3 /4 /1997 لوليو- جنوب القطب الشمالي

مقاطع مختارة من (نشيد أوروك)

.....

.....

تَتَملَّكُني رغبةٌ في البكاءِ على صدرِها..

أين.....؟

ما تترُكُ العرباتُ على الثلجِ، ما تترُكين على دربِ قلبي

وأَبكي إذا مرَّ بيْ عاشقانِ..

فيسألُني ساعدي: أين خَصْرُ حبيبي!؟..

يُلَاحِقُني وَترٌ نازفٌ

- في الكمانِ -

على شارعِ الليلِ.

أشنقُ نفسي بخَيطِ ضياءٍ نحيلٍ

تحدَّرَ من جسرِ «باب المُعظَّمِ»،

مُرتعشاً

ستُقَاطِعُهُ المركباتُ.....

خَسِرنا البلادَ

خَسِرنا الأغاني

ورُحْنا نجوبُ المنافي البعيدةَ

نستجديَ العابرين

ولي، في الرُصافةِ

نخلٌ وأهلٌ

ولكنَّهم ضيَّعوا

- في الهتافاتِ -

صوتَ المُغنِّي

.....

.....

رأيتُ

بلاديَ

تنهشَها
الطائراتُ
صرختُ: بلادي
فقصَّ الرقيبُ الحروفَ الأخيرةَ،
معتذراً بالدُخانِ الذي
يَحْجُبُ الأفقَ، واللافتاتِ
صرختُ:
ب-..... لا...
ففزَّ نُعاسُ الأميرةِ من هُدْبِها
برماً،
وتثاءَبَ سِرْبُ الحَمَامِ
على الشُرفةِ الملكيِّة.
فاستنفرَ الجندُ أقواسَ آذانِهِمْ
خلفَ ذِئْبِ الصدى،
عابراً
- في الهزيعِ المُضرَّجِ -
سُورَ المدينةِ، نحوَ البراري
التي تركَ الجندُ أشلاءَهم فوقَها..
ثم فرّوا
إلى البحرِ
- ما أَبْعَدَ البحرَ!
قال أبي، ومضى عَجِلاً للعياداتِ
قالَ المفوُّض: ماذا جنيتَ من الشِعرِ؟
- وهو يَقِيسُ المسافةَ ما بين عنقي
ومروحةِ السقفِ -
قالَ المقاولُ: كمْ تدفعُ الآنَ؟
قالتْ فتاةُ الكوافير: لا
أفهمُ
الشِعرَ

قال المحرُّر منكفئاً خلفَ نظّارتيه:
سأَشري بسعرِ المقالةِ
كيسَ بطاطا..
[وعَبُّودُ،
يزحفُ
في ساحةِ العرضاتِ]:
صباحَ الأناشيدِ،
يا
مدنَ
الحربِ...
إنَّ
القنابلَ
لمْ
تُفْطِرِ
الآن..
.....
.....
ماضياً، والبسوسُ تجرُّ البسوسَ:
أباعرَ مهزولةً
ومدافعَ
نحيا الزمانَ قتيلاً
يجر
قتيلا
كأنَّ الحياةَ لنا سُبَّة
والأماني لنا نبوةٌ
والهوى ليس يصلحُ إلّا
على ركعتين
من الدمِ[1] ...
[أجلسُ في شُرفةِ الصحو،

أنتفُ ريشَ الغمامِ
شفاهي مشقَّقةٌ كجذوعِ النخيلِ على الجرفِ
أرقبُ خوفو،
وحيداً،
- على قِمَّةِ الهَرَمِ المستدقَّةِ -
يكرعُ خمرةَ شعبٍ أُبيدَ....
حزيناً،
يقلِّب طرفيه بين عظامِ الهياكلِ..
يهتفُ: يا شعبُ...
لا شيءَ، غيرُ صدى حجرٍ
يتدحرجُ جُ جُ جُ جُ جُ
جُ جُ جُ
جُ جُ
جُ
... في البئرِ
يزعقُ:
..... يا جندُ
يقفزُ - بين شقوقِ الحجارةِ -
جرذٌ سمينٌ
يجرُّ بقايا ذراع فتاةٍ.... فيفزعُ خوفو[2] ..
ويهبطُ
في السُلَّمِ الحلزونيِّ،
يغلقُ بوَّابةَ القصرِ
ثم يموتُ
وحيداً..]
.....
.....
رأيتُ أبي نائماً
- فوق محراثِهِ -

ولصوص الحكومةِ ينتهبون سنابلَهُ والأغاني

.....

.....

تركنا الحقائبَ فارغةً كالحقائق

فوق رصيفِ مدائنِ نيبور[3] كي نلحقَ

القاطراتِ

التي مضغتْ تبنَ تاريخنا،

فتجشّأ ثغرُ المذيعةِ حين رأتنا نُؤجُّج ثوراتِنا بالكلامِ،

فقامتْ

لتولعَ

سيجارَها الماليبورو..

ووووووو

فالتهبَ القَشُّ تحتَ الأرائكِ،...

ثم أضافتْ: [وصرَّحَ في الاجتماعِ المُدارِ

وزيرُ الحصارِ: (لقد نفدَ الزيتُ - يا سادتي -

في مخازنِ دولتِنا،

فليقلِّ المواطنُ بيضتَهُ

بالضراطِ..).....

وقام ليشرحَ

فامتعضَ الجنرالُ

وقالَ لسيَّافِهِ

أنْ يُعَدِّلَ ميلَ الوزيرِ

- على شاشةِ العرضِ -

قبلَ انتهاءِ المذيعةِ من طيِّ نشرتِها

ثم اطوِ المذيعةَ

تحتَكَ

أو انشرِ الأرضَ شاهدةً

بين قبرِ الوزيرِ

وبين الجماهيرِ....]..... دوزنَها الخوفُ فارتفعتْ كالمآذِنِ آذانُها، تتقرى

خطى الجَزَماتِ

.....

.....

يكفي قليلٌ من الناي كي تسكري بدموعي

ويكفي قليلٌ من الخمرِ والخبزِ كيما أُغنِّي..

على سُورِ معبدِ ننماخ[4]

ينفخُ ساحرُ مردوخ[5] ريشتَهُ

فيَشُقُّ الفضاءَ

باسْمِي واسْمِكِ

ملتصقين

- على لوحةِ الأفقِ -

قوساً من اللازورد

فتغضبُ جونو[6] وتأمرُ حرَّاسها المترامين

أن يُمْسِكوا عنقَ الريحِ

يضحكُ منها تايريسياسُ[7] : لا حبَّ يُدفنُ

تدفنُهُ

في العراءِ إلى النصفِ،

تاركةً

عضـــــوَهُ

للكلابِ المجيعةِ

لكنَّ بعضَ اللصوصِ أزالوا الحروفَ

عن السُورِ،

كي يستدلّوا

على الكنزِ

لمْ يجدوا غيرَ فأرٍ عجوزٍ

طوى ذيلَهُ باتجاهِ الخزانةِ

يقرضُ ملحمةَ الطوفان

ركضنا إلى الثقْبِ كي نوقفَ الفيضان

فأوقفنا حارسُ المتحفِ البابليِّ:

- الزيارةُ ممنوعةَ..

.....

.....

أريدُ

خريفاً

لأنضجَ

هذا

النشيجَ،

نشيداً لـ أوروك[8]

يختصرُ

الأرضَ

.....

.....

أعرفُ:

(ليلُ الطغاةِ طويلٌ) كما سيقولُ الرواةُ..

(وعمري قصيرٌ) كما أخبرتني الحياةُ

فكيف أرى الفجرَ..

مَن أين يطلعُ

فجرُ العراقِ

وحرَّاسُنا

- كلَّ يومٍ -

يعلَّون

أسوارَنا؟]

.....

.....

أفتحُ عيني على البحرِ

كان جهازُ E.C.G [9] عاطلاً، والستائرُ مسدلةً، والأطباءُ منكفئينَ على جُثَّتي

بالمشارطِ

صحتُ: اتركوني أقصُّ لكم ما رأيتُ..

فلم يمنحوني انتباهاَ
وراحَ الخبيرُ يُفصِّلُني - فوقَ مَشْرَحَةِ النَصِّ - منشغلاً بتلاميذِهِ
فأسدلتُ جفني ونمتُ عميقاً..
رأيتُ الكواكبَ تسجدُ لي
والقيامةَ ذاتَ البروقِ تضجُّ بحشدِ العَرايا
تفوجُ بسيلِ الخطايا..
واسرافيلَ ينفخُ في بوقِهِ:
انهضوا يا نيامَ القرونِ الكسيحةِ...
صحتُ: أينَ الإلهُ؟
فهبَّ الغبارُ يُغَطِّي الوجوهَ التي نهضتْ في بجاماتِها فزعاً..
وتمطَّى الإلهُ يقلِّب دفتريَ الضخمَ...
تلكَ حياتي إذاً؟
راكضاً في الجحيمِ أولولُ:
أين ذنوبُ الطغاة؟
.....
فامسكني نادلُ البارِ:
صَهْ
.....
كانتِ الأرضُ ماءً
وكانت طيورُ أوتونابشتم[10] تتقرَّى الطبيعةَ في شققِ الروجِ...
أعلو إلى جبلٍ عاصمٍ:
أَيّها الربُّ
هل خطأٌ أن نُحِبَّ الحياةَ[11] ...
رأيتُ رؤوساً على الموجِ طافيةً،
وشموعَ نذورٍ على لوحةِ الأفقِ، مطفأةً
وطروساً بدون حروفٍ
تناقلها ألسنُ البحرِ
تعلو ببطءٍ وتهبطُ...
تدنو إليَّ.....

انحنيتُ لأمسِكَها في يديّ
فأمسكني الشرطيُّ:
- .....
انتثرتُ حروفاً على واجهاتِ المخافرِ،
توقدني رعشةُ الكهرباءِ،
وتطفئني في الجدارِ
صرختُ ب... زيوسدرا[12] :
آتٍ هو الطوفانُ
فهدِّمْ بفأسِك بيتَكَ،
وابنِ به زورقاً..
ولكنَّهُ لمْ يعرْني انتباهاً،
وراح المُحقِّقُ بالغليونِ يُدخِّنُني فوقَ طاولةِ الإعترافاتِ .....
.....
.....
قلتُ: اتركوني، لأنشقَ رائحةَ اللوزِ في فمِها..
ها هي آثارُهم تحفرُ القلبَ لا الجلدَ
مرحى لهُ كلّما عبرتْ طلقةٌ، ينحني كي يلملمَ ما قد تدحرجَ من نبضِهِ في بلاطِ الرصيفِ،
تشاهدُهُ امرأةٌ من سياجِ الحديقةِ، تَصرُخُ مذعورةً:
اِحذرِ المركباتِ السريعةَ،
أنَّ جلالتَهُ
يمرقُ
الآن....
لكنَّهم حملوهُ بعيداً...
وتَذكُرُ زوجتهُ - وجنتاها مآتمُ منصوبةٌ - أنَّهم فتَّشوا البيتَ،
حتى دفاترَ طفلتِها المدرسيَّةِ،
ثم رموهُ على بابِهم
كالبصاقِ
وتَذكُرُ - بعدَ سنينٍ - بأنَّ الطبيبَ الذي جسَّ شريانَهُ، كان يسمعُ في دمِهِ، دفقَ الحشدِ،
يهتفُ:
- «**عاااااااااااااااااااشَ** »....

تصعُّده الطلقاتُ البعيدةُ
لكنَّها انتبهتْ - في مساءٍ حزينٍ –
لصوتِ أنينٍ يدحرجُ فوق الوسادةِ أنفاسَهُ ثم يسقطُ...
تهمسُ:
هل قلتَ: **يس_____قطُ** ؟!!
..!!!
ينهضُ مرتعباً،
يتعوَّذُ مِمَّا يُدسُّ بأحلامِهِ،
ثم يلبسُ أثوابَهُ عجلاً
ليسلِّمَهمْ رأسَهُ:
- سيِّدي، كان هذا يُغافِلُني
- في الليالي –
ويشتمكم....
.....
.....
مرحى، لكم دورةُ الأرضِ
لي، دورةُ الحبرِ
مرحى، لِمَنْ حقنوهُ بمصلِ المعاشِ،
فعاشَ،
ليهتف:
«**عاااشَ** »،
لِمَنْ ينصبون فخاخَ الشعاراتِ،
نلصقُها
ثم نسقطُ...
كي يصعدَ الجنرالُ إلى مجدِهِ،
جُثَّةً، جُثَّةً
ويُحَيِّي الجموعَ التي أجَّلَتْ موتَها
كي تُصفِّقَ.....
... ...

... ...
وأكتبُ للربِّ عشرَ رسائل
من ورقِ الدمعِ
أبعثها بالبريدِ المسجَّلِ
لكنَّهُ لا يَرُدُّ على عبدِهِ.....
فلِمَنْ أَيّها الربُّ
نبعثُ آلامَنا الكامدةْ
.....
.....
سأكفرُ بالدمِ إنْ خثَّرتهُ السنونُ،
فسدَّ طريقَ جراحاتِنا الماردةْ
وأكفرُ بالشِعرِ
إنْ لمْ يزلزلْ عروشَ الطغاةِ
ويرسمُ في ريشةِ الفجرِ أحلامَنا الواعدةْ
.....
.....
سأهبطُ.....
..... من كذبِ الفتياتِ، إلى كذبِ الحكّام الأسودِ، منشغلاً بتصفُّحِ ما في صحفِ اليومِ، لأهبطَ مُنسلّاً لرفوفِ المكتبةِ القوميَّةِ بالأطمارِ،
إلى كذبِ التاريخِ،
أجرجرهُ من لحيتهِ للحانِ،
وأسألهُ، بعدَ الكأسِ الأولِ:
مَنْ ساوى رأسَ الحجّاج
برأس الحلّاج
على طبقٍ
ثم أقولُ له ثملاً، بعد الكأس الثاني:
- أمجادُكَ محض ضراطٍ تاريخيٍّ
في إستِ العالمِ
لكنّي بعد الكأسِ العاشرِ، أطفو منكسرَ العينين
على رغوةِ خيباتِ التاريخ

بكأسي

فأرى:

أعناقاً، كالبصلِ اليانعِ

في أسواقِ الكوفةِ

تنتظرُ القطفَ،

وأخرى أتعبها الرقصُ

وأخرى شظّاها القصفُ

وأخرى تنتظرُ الطَرَقاتِ الليليةَ، فوق البابِ] أَتَعْرِفُ معنى الطَرَقاتِ الليليةِ فوق البابِ؟...

.....

.....

- مطرٌ ناعمٌ في الحديقةِ

تسحبُ معطفَها وتُظلِّلُني فيشبُّ بأوردتي عِطْرُها، صاخباً.. أتنفسُها وهي تخفقُ بين الممرَّاتِ تعبرُ زهرَ الأناناسِ والشرطةَ المحتمين من القَطراتِ بسقفِ المحطَّةِ، والنظراتِ

انزلقنا إلى السينما

الفيلمُ يوشكُ - قالَ مِقَصُّ التذاكرِ - أن ينتهي

ابتسمتْ.. لا يهمُّ.....

ومالَ على أُذُني عِطْرُها هامساً: المُهِمُّ النهايةُ

في الظلمةِ انتبهتْ ليديَّ تجوسانِ تحتَ القميصِ المهدَّلِ غاباتِها [تتقرَّى ظلامَ الجدارِ. أدقُّ فأسمعُ بعد قليلٍ أنيناً ضعيفاً.. (فأغمضتُ جفنيَّ أخشى إذا ما فتحتهما تتلاشين..) في الفجرِ أبحثُ مرتبكاً عن مفاتيحِ سجني بمحفظةِ البنتِ (تُوقِظُني الطرقاتُ على البابِ:

- مَنْ؟

فيواجهني شَعرُها الفوضويُّ، نثيثاً لذيذاً، يُبلِّلُني، وأراني بغرفتها: كأسها فارغٌ

وبقايا سجائر مدعوكة

أَتَلَفَّتُ أسألُها: مَنْ هنا كان؟....

- لا أحد

- والقميصُ المُعلَّقُ؟

- أنتَ نسيتَ قميصَكَ!!،

..... تَذْكُرُ في حفلةِ الأمسِ؟]

- أنا.....؟

.....

.....

وكنّا سنبقَّى نُعمِّرُ هذي البلادَ

كما شاءَها الربُّ في حُلْمِهِ البابليِّ

جِنَاناً مُعَلَّقَةً، يَتَرَقْرَقُ فوقَ مدارجِها الماءُ والصلواتُ

ولكنَّهم هدمونا

أشادوا على دمِنا المتيبِّسِ، زنزانةً

وادَّعوا أنَّها وطنٌ

ثم قالوا: هنيئاً بما يخصبُ البلدُ

.....

لا بحرَ نثلمهُ بالمراكبِ

يا أَيّها النائمون على حَجرِ الثورةِ المستحيلةِ

لا رمل أو زبدُ

رأيتُ دمي في الطوابعِ يلصقُها المبعدونَ..

إلى أين تسعى بنفسِكَ؟

إن الحياةَ - البلادَ التي تبتغي[13] .....

.....

.....

أقرعُ هذا الحنينَ الذي كنتُ أخفيهِ بين قميصي ونبضي،

فيهرعُ سِرْبُ الكراكي

إلى نبعِ قلبي...

أنا جدولٌ يابسٌ غادرتهُ الضفافُ إلى عتمةِ الدغلِ

شقَّقَني

عطشي

في بلادِ

المياهِ

.....

.....

أصرخُ هذا المدى أرضُنا

كيف ننْزعها من أظافرِنا

كلّ نسغٍ بأشجارِها كان ينبضُ من دمِنا في عروقِ الغصونِ الوريقةِ
يُزهِرُ....
هذا الغبارُ مثارُ سنابكِنا في أديمِ الحضارةِ
هذا الضبابُ تحشرجُ أنفاسِنا في الممرِّ إلى صالةِ اللهِ
لامعةٌ بالكريستالِ أخطاؤنا..
وحفيفُ الرياحِ البعيدةِ أصواتُ أسلافِنا
قادمون من الحجرِ الصلدِ..
هل كانَ هذا الفراتُ
سوى دمنا المترقرقِ من عهدِ سُومَر
..... حتى مصبِّ الحكوماتِ
تَكشِطُ عن جلدِنا الملحَ والانقلاباتِ..
نأتي ونمضي كما موجةٌ في فمِ البحرِ يزفرُها...
لا نخلِّف فوق السواحلِ غيرَ الزبدْ
كلُّ شيءٍ بددْ
وما نحن إلّا خيولُ سباقِ الأبدْ
فلماذا وُلدنا، وفي عنقنا حبلُ مشنقةٍ
تؤرجحنا الريحُ ذاتَ المنافي.....
وذاتَ البلدْ
.....
.....
يتراءى له برجُ بابل
أسود
من زفراتِ المعاملِ
ينسلُّ طابوقةً إثْرَ طابوقةٍ
في المتاحفِ
ينهبُهُ البدو تحتَ عباءاتِهم
والحكوماتُ لمْ تنتبهْ
حارسُ البرجِ لمْ ينتبهْ
لمرورِ جلالتِهِ

وهو يسألَ عن عُشّبِ كلكامش....
- سيِّدي، أكلتهُ الخرافُ. أما كان أنفُكَ - عفوكَ -
يَنشِقُ خلفَ القطيعِ برازَ ال-.....
- .....
لكنَّهُ قبلَ أنْ يستبينَ الحقيقةَ
غطُّوهُ حتى مشارفِ عينيهِ
في جومةٍ للبراز...
فرأى
كلَّ
شيء[14] .....
.....
[ولا شيء،
كانوا يحكُّون أسوارَ بابل
كي يضعوا صورَ الجنرالِ
على كلِّ طابوقةٍ
ضحكَ الفأرُ حتى تبدتْ نواجذُهُ
عن مدائنَ لا تنتهي
وأشارَ بأذنيهِ نحوَ الطغاةِ الذين تلاشوا
على سُورِها المتطاولِ
.....
.....
أنامُ وأصحو، فلا أجدُ الفجرَ.
مَنْ سرقَ الفجرَ - يا ديكُ - من شُرفاتِ المدينةْ.....
قلتُ عَبُّود: كانتْ تضِيقُ بنا كُوَّةُ الأفقِ، نوسِعُها بالأغاني
تَضِيقُ الأغاني، فنُوسِعُها بالأماني.....
فمَنْ يُوسِعُ الآن كُوَّةَ منفاك..
لا شيءَ، غيرُ السماءِ المعرِّاة
تسحبُ قطعانَها البيضَ
فوق مدارجِ جفنيكَ

نَحْلَمُ في شجرٍ وارفٍ سيظلّل بيتاً رسمناهُ منذَ الطفولةِ خلفَ سياجِ دفاترِنا والرمالِ المندِّاة بالبحر...
يا أَيّها البحرُ ما أبقتِ السنواتُ المريرةُ منكَ سوى نصفِ نافذةٍ
تتلألأُ فوق السفوحِ الغريبةِ.

.....

.....

- لماذا تركتَ بلادكَ،
كانتْ لكَ الرطبَ - الخمرَ،
والجنَّة البابليَّةَ...
- لمْ أتركِ الأرضَ من بطرٍ، أَيّها اللائمونَ بمقهى الشتاتِ،
ولكنَّهُ الجمرُ لا يصطلي
غيرَ قابضِهِ.....

.....

سأرضى بما قَسَّمَ اللهُ لي في المنافي
سوى الذلِّ،
أطوي الدروبَ بأمعاء.... فارغةٍ
وذهولٍ،
كأني
خرجتُ
من السجنِ
تواً.
أعضُّ الحياةَ بأسنانِ روحي
وأصعدُ مزدهياً
بنشيدي
أخدُّش وجهَ السماءِ لتمطرَني...
كلُّ أرضٍ ستعشبُ فيها الأغاني بلادي....
أأرضى أبدُّل أرضاً بأرضٍ؟
وكيفَ سأغفو،
وهذي الوسادةُ ليستْ ذراعيكِ
هذي ال-.....

[صرختُ بهم:

البلادُ على ظهرِ حوتٍ.

فلا توقدوا قِدرَ الحربِ[15] ....

لكنَّهم سخروا من ظنوني

فماجتْ بهم

قبلَ

أنْ

يلحقوا

بالمراكب.....]

قلتُ: انتظرتكَ.....

نمضي معاً في الأَزِقَّةِ (لا بيتَ لي

غيرُ ظلِّ القصيدةِ

أفرشهُ وأنامُ)

شريدين،

تُتكِرُنا واجهاتُ الفنادقِ

والطرقاتُ الغريبةُ

متكئاً فوق كَتفي،

يُبلِّلُ دمعُكَ عُشْبَ قميصي

تُحَدِّثُني عن مسارِ الغيومِ بجفنيكَ

عن جوعِ طفليكَ في بلدِ النخلِ.....

[كنتُ أراكَ وراءَ الزجاجِ المكيِّف عينين مثل الينابيعِ صافيتين، وثغراً يبيساً كحقلِ بلادي، تُنظِّفُ أرضيَّةَ البارِ (أعقابُهمْ والبصاقُ المخثُّر فوق جروحي المندِّاة) تحني أمامَ الموائدِ قامتكَ - النخلَ (حيثُ اِنْكَسَرَتُ أمامَ السياطِ) فتمسحُ عن مقلتي

نثارَ النجومِ..

ونَحْلُمُ....

نَحْلُمُ...

نَحْلُمُ

[كلٌّ يُغنِّي على ليلِهِ....

وأنا في مديريةِ الأمنِ كنتُ أُغنِّي على كلِّ ما مَرَّ..]

حتى إذا أورقَ الفجرُ

- فوق غصونِ المصاطبِ -

ودعتني....

ومضيتَ وحيداً

لمنفاكَ

تُنشِدُ في الريحِ منكسراً

مثل نايٍّ غريبٍ:

- أماناً

بلادي

التي

لنْ

أ

ر

ى....

.....

.....

1984 – 1996 وما بينهما من أيّام سود السليمانية (إسطبل في قرية شيخ اوصال)، معسكر 575، شيراتون البصرة، سجن الموة في كركوك، الكوفة، بغداد، القاهرة، عمّان، صنعاء، عدن، الخرطوم، دمشق، بيروت

. إشارة إلى قول الحلاج: «ركعتان في العشق لا يصحُّ وضوؤهما إلا بالدم».

. صاحب الهرم الأكبر (2600 - 2560 ق.م) - أحد عجائب الدنيا السبع - وهو ثاني الفراعنة من الأسرة الرابعة الحاكمة. وقد كتب هيرودوت: «إن بناء الأهرام استغرق عشرين عاماً، واشتغل فيه خلال هذه المدة مئة ألف عامل».

. أول مدينة على الأرض في الأساطير السومرية.

. إلهة الخصب السومرية أسمها ننخرساج وهي زوجة آنكي إله الماء والحكمة والفكر.

. كبير الآلهة البابلية.

. ملكة السماء وزوجة جوبيتر إله الرومان.

. تايريسياس تحوّل من رجل إلى امرأة بعد أن ضرب ثعبانين يتعانقان ثم تحوّل إلى رجل بعد 8 سنوات عندما ضربهما مرةً ثانية. غضبت عليه جونو وأعمته فعوضه جوبيتر بمنحه قدرة قراءة المستقبل.

. مدينة كلكامش ورمزالإله ديموزي ومعبد الإلهة إينانا. وهي المدينة السومرية التي حافظت على أسمها في العهد العربي الإسلامي بهيئة الوركاء «الورقاء» وورد ذكرها في التوراة بصيغة أرك وفي المصادر اليونانية والرومانية باسم أورخي وتقع بقاياها الآن على نحو 220 كم جنوب شرق بغداد وعلى مسافة نحو 20 كم شرق مجرى الفرات الحالي ويمر فيها شطّ النيل المندرس الذي كان مجرى الفرات القديم وهي مسورة على هيئة شبه دائرة وقد أظهرت التنقيبات الأثرية الحديثة التي أجرتها البعثة الألمانية عام 1913 و 1928 و 1953 نتائج مهمة في معرفة أطوار حضارة وادي الرافدين.

. جهاز لتخطيط القلب.

. بطل ملحمة الطوفان البابلي يعني بالبابلية: «الذي أدرك الحياة».

. من قصيدة «خرجتُ من الحرب سهواً» للشاعر..

. إشارة إلى الحكيم زيوسدا حاكم مدينة شروباك الذي توجه إلى المعبد فرأى انكي يقول له: «يا زيوسدرا، اصنع سفينة ضخمة وأحمل

بذرة من كل ذي حياة لقد قرر الآلهة ارسال طوفان عظيم إلى الأرض». وثمة اِقتباس من ملحمة كلكامش: «بيت من قصب البردي، جدار، جدار، بيت من قصب البردي يا ملك شورباك يا ابن أوبارو - تو. اهدم بيتك وشيد زورقاً».

. من خطاب صاحبة الحانة سيدوري إلى كلكامش.

. إِشارة إلى أول سطر في ملحمة كلكامش: «هو الذي رأى كل شيء».

. إِشارة إلى قصة السندباد البحري.

مَرْثِيَة عازف النشيد الوطني

فرَّغتكَ الحروبُ
من الحبِّ
ها هو قلبُكَ طبلٌ
يرنُّ ـ على جلدِهِ المتقرِّن ـ نَقْرُ الأناشيدِ
تحمِلُهُ جوقةُ العازفين إلى ساحةِ الاحتفالات
حيثُ الجموعُ التي تتلاطمُ من حولهِ
ثم ترتدُّ ـ محفوفةً بالبنادقِ ـ لمْ تقتربْ ساحلهْ!
تردُّد محمومةً:
ـ عاشَ حامي البلاد
فتسمعُ جوفَكَ يصرخُ:
ـ عا... ثَ...
فيلكزُكَ المنشدون:
ـ انتبهْ
الحروفُ نميمةُ ريحْ
والطبولُ لحاءٌ تساقطَ من مِقْصَلَةْ
.....
....
يدفعونَكَ للقبوِ..
تنبحُ خلفَ دماكَ التقاريرُ والمقلُ القاحلةْ
فيصرخُ فيكَ المُحقِّقُ،
مرتعباً:
ـ كيف بدَّلت شينَ الرئيسْ
بثاءٍ تعيسْ..
سلُّلته إليكَ المناشيرُ في لحظةٍ غافلةْ؟
ـ سيِّدي
إنَّهُ محضُ طبلٍ
تشقَّق من كثرةِ الضربِ

فاختلطتْ في تجاويفهِ الأحرفُ القاتلَة

.....

عندما أخرجوهُ

من الكُوَّةِ المُقفَلَةْ

بعد عشرين عاماً

لمْ يجدْ غيرَ كنسِ الشوارعِ مِمَّا تخلُّفه المرحلةْ

هكذا ظلَّ يَحْلُمُ...

بالثورةِ المقبلةْ

غير أنَّ السياطَ

التي ملّحتْ جلدَهُ فوق طاولةِ الأسئلةْ

لمْ تعدْ تسمعُ النَقْرَ.. يصعدُ

.. يصعدُ

في روحهِ الصاهلةْ

فرموهُ إلى المزبلةْ

15 /3 /1992 بغداد

غياب

رسمَ بلاداً
على شرشفِ الطاولة
وملأها بالبيوتِ المضيئةِ والجسورِ والأشجارِ والقطط
قَطَعَ تذكرةً
وسافرَ إليها
محمَّلا بحقائبهِ وأطفالهِ
لكنَّ رجالَ الجمارك
أيقظوهُ عند الحدودِ
فرأى نادلَ البارِ
يهزُّهُ بعنفٍ:
إلى أين تَهْرُبُ بأحلامِكَ
ولمْ تدفعْ فاتورةَ الحسابْ

القاهرة 19 /3 /1990

قُبلة

وهما يتَّكئان على سياجِ الياسمينِ النمّام
يهمُّ بتقبيلها
فتفلتُ القُبلةُ من فمِهِ
وتسقطُ على العُشْبِ
محدثةً رنيناً أخضرَ
ينحني ليلتقطها
فتضحك...
ذلك أنَّ القُبَلَ الساقطةَ
كقطراتِ المطرِ
سرعانَ ما تَجِفُّ

28 /12 /1995 الخرطوم - جزيرة توتي

رقيب داخلي

منذُ الصباح
وهو يَجلِسُ أمامَ طاولتهِ
فكَّرَ أنْ يَكتُبَ عن ياسمين الحدائق
فتذكَّرَ أعوادَ المشانق
فكَّر أنْ يكتبَ عن موسيقى النهر
فتذكَّر أشجارَ الفقراء التي أيبسها الحرمان
فكَّر أنْ يكتبَ عن قرنفلِ المرأةِ العابقِ في دمهِ
فتذكَّر صفيرَ القطاراتِ التي رحلتْ بأصدقائِهِ إلى المنافي
فكَّر أنْ يكتبَ عن ذكرياته المتسكِّعة تحت نثيثِ المطر
فتذكَّر صريرَ المجنـزراتِ التي كانتْ تُمَشِّطُ شوارعَ طفولته
فكَّر أنْ يكتبَ عن الهزائم
فتذكَّر نياشينَ العقداءِ اللامعةَ على شاشاتِ الوطن
فكَّر أنْ يكتبَ عن الانتصارات
فتصاعدَ في رأسهِ نحيبُ الأرامل
ممتزجاً برفاتِ الجنودِ المنسيّين هناك
.....
.....
في آخرةِ الليل
وَجَدَ سَلَّةَ مهملاتِهِ مملوءةً
وورقتَهُ فارغةً بيضاء

30 /9 /1993 عمّان

تكوينات

حينَ طردوهُ من الحانة
بعد منتصفِ الليل
عادَ إلى بيتهِ
أغلقَ البابَ
لكنَّه نسيَ نفسَهُ في الخارج
*
أَعْرِفُ الحياةَ
من قفاها
لكثرة ما أدارتْ لي وَجْهَها
*
لكثرةِ ما جابَ منافي العالم
كان
يمرُّ
منحنياً
كمَنْ يتأبَّطُ وطناً
*
أمطارهُ على سريرها
لا تكفي
لهذا تخونهُ مع البحر
*
العُصْفُورُ يصدحُ
داخل قفصه
أنا أرنو إليه
وكذلك قِطَّةُ البيت
كلانا
يفترسُ أيَّامهُ
*

كرشَهُ المُتَدَلي
عربة يدفعُها أمامَهُ
مثقلةً بأطعمةِ الآخرين
*
هذه النوارسُ
أمواجٌ هاربةٌ
من البحرِ
سرقتْ من الزَبَدِ ريشَها
وحلّقتْ بعيداً.....
*
أجلسُ أمام النافذة
أَخِيطُ شارعاً بشارعٍ
وأقولُ متى أصلُكِ؟
*
كم عيناً فقأتَ
أَيّها المدفعيُّ؟
لتُضِيءَ على كَتِفَيكَ كلُّ هذه النجوم

1996 عمّان

بورتريه

وطنٌ هاربٌ
في دمي
هل يُخبِّئُني..
أم أُخبِّئُهُ
خلفَ سَبُّورةِ الدرسِ
خارطة نصفها مطرٌ
... ومنافٍ
ونصفٌ شعارْ
والمدارُ الذي لفَّني
كسؤالٍ يتيمٍ
على رحلةِ الطفلِ
يَكْبَرُ...
وهو يواجهُ عيني معلِّمهِ
دامعتين وراء الإطارْ
سوف يسألُهُ ضابطُ السجنِ
محتدماً
- كيف سرَّبتَ بين خطوطِ الطباشيرِ
هذا الحنينَ..؟
ويُطْفِئُهُ في الجدارْ

16 /3 /1993 بغداد – تشرين ثاني 1993 عمّان

ثمالة

انْطَفَأَتْ أضواءُ الحانة
وانْطَفَأَ العالمْ
لكنَّ الرجلَ المخمورْ
ظلَّ يدورْ
بحثاً عن سببٍ واحدْ
يُوصِلُهُ... للبيتْ

31 /1 /1993 بغداد

شاعر

انزلقتْ حَنْجَرَةْ
في دهانِ الهِجاءِ الفصيحْ
فظلّتْ
تصيحْ
عندما استيقظَ الامبراطورُ من حُلْمِهِ
- برماً -
صاحَ في جندِهِ:
كمّموا الريحْ
غير أنَّ الصدى ظلَّ يركضُ، يركضُ
يركضُ
يركضُ.....
في جَنَبَاتِ الرواقِ الفسيحْ
.....
.....
في الصباحْ
وجدوا جُثَّةَ الشاعرِ المتطفِّل
..... طافيةً
فوق زيتِ المديحْ

1 /1 /1993 بغداد

طلقة

وقفَ الشاعرُ

خلفَ منصَّةِ **لا**

فمهُ يركضُ حافي القدمين

فوقَ أديمِ الميكرفون

وآذانُ الجمهور

قفزتْ، تستبقُ الريحَ إليه

فالتقيا،

في حُمَّى التصفيقْ

لكنَّ الطلقةَ...

فزِّزت الحُلْمَ

فهبَّ من النومِ إلى الشارع، مذهولاً

أَبْصَرَ جُثَّتَهُ تَنْزِفُ

– وسطَ ركامِ الأحذيةِ المذعورةِ –

يسحلها الشرطةُ للتحقيقْ

.....

.....

.....

وقفَ الشاعرُ

مبهوراً

لا يدري من أيِّ الحُلْمَين، يفيقْ

بغداد 1992/ 12/ 24

غربة

السماءُ التي ظلّلتْ أرضَنَا
والمنافي التي أرّختْ جرحَنَا
سأقولُ لها
كلّما طردتني بلادٌ
وساومني صاحبٌ
اِتَّكَأتُ على صمتي المرَّ...
أبكي الذي فاتَنَا

صنعاء 16 /11 /1993

في حديقةِ الجُنْدِيِّ المجهول

الجُنْدِيُّ، الذي نسيَ أنْ يحلقَ ذقنَهُ
ذلكَ الصباح
فعاقبهُ العريف
الجُندِيُّ القتيلُ، الذي نسوه في غبارِ الميدان
الجُندِيُّ الحالِمُ، بلحيتِهِ الكثَّة
التي أخذتْ تنمو
شيئاً،
فشيئاً
حتى أصبحتْ -بعد عشرِ سنوات-
غابةً متشابكةَ الأغصانْ
تصدحُ فيها البلابلْ
ويلهو في أراجيحها الصبيانْ
ويتعانقُ تحت أفيائها العشّاقْ
.....
.....
الجُنْدِيُّ..
الذي غدا مُتَنَـزَّهاً للمدينة
ماذا لو كان قد حلقَ ذقنَهُ، ذلك الصباح

عمّان 28 /9 /1993

سذاجة

كلّما سقطَ دكتاتور
من عرشِ التاريخِ، المُرصَّعِ بدموعِنا
التهبتْ كفَّاي بالتصفيق
لكنَّني حالَما أعودُ الى البيتِ
وأضغطُ على زرِّ التلفزيون
يندلقُ دكتاتورٌ آخر
من أفواهِ الجماهيرِ الملتهبةِ بالصفيرِ والهتافات
.. غارقاً في الضحكِ
من سذاجتي
التهبتْ عيناىَ بالدموع

29 /6 /1992 بغداد - حدائق جمعية المؤرّخين

قصائد البحر

ما لي أبحثُ عن البحرِ
وهو بين أصابعي
أَقْصِدُ: شَعركِ
2 /10 /1991 بغداد

*

عندما لمْ يرني البحرُ
تركَ لي عنوانَهُ:
زرقةَ عينيكِ
.. وغادرني

2 /10 /1991 بغداد

*

أكلُّ هذه الثورات
التي قامَ بها البحرُ
ولمْ يعتقلْهُ أحد

1993 عدن

قصائد المطر

يَلْعَقُ المطرُ

جسدَكِ..

ياه..

كيف لا يغارُ العاشق

بغداد 1991/ 6/ 4

*

أمامَ المرآةِ

كان المطرُ

يتساقطُ على النافذةِ

وأنا كنتُ ألملمُ نهاياتِ الضَفِيرةِ

.. عن دموعِ المشط

بغداد 1991

*

المطرُ أبيض

وكذلك أحلامي.

تُرَى هل تُفرِّقُ الشوارعُ بينهما؟

المطرُ حزين

وكذلك قلبي

تُرَى أيّهما أكثر ألماً..؟

حين تسحقهما أقدام العابرين

بغداد 1991/ 6/ 4

تنويعات

قبلَ أنْ يُكْمِلَ رسمَ القفصِ
فرَّ العُصْفُورُ
من اللوحة
29 /11 /1993 عمّان

*

منطرحاً
على السفحِ
يسألُ:
هل من شاغرٍ
في القِمَّة؟
28 /9 /1993 عمّان

*

كلّما كتبَ رسالةً
إلى الوطنِ
أعادها إليه ساعي البريد
لخطأٍ في العنوان
30 /9 /1993 عمّان

*

للفارسِ في الحفلِ وسامُ النصر
وللقتلى في الميدانِ
غبارُ التصفيقِ
وللفرسِ في الإسطبلِ
سطلٌ من شعير
21 /9 /1993 عمّان

*

خلف الخطى الصاعدة
إلى العرشِ

ثَمَّةَ دمٌ
منحدرٌ
على السَلالم
24 /9 /1993 عمّان

تَجلِسُ في المكتبة
فاتحةً ساقيها
وأنا أقرأُ..
ما بين السطور
28 /9 /1993 عمّان

*

بين أصابعنا المتشابكةِ
على الطاولةِ
كثيراً ما يَنسِجُ العنكبوتُ
خيوطَ وحدتي
1993 عمّان

*

كمْ عليَّ أنْ أخسرَ
في هذا العالم
كي أربحَكِ
1993 عمّان

*

يَنظُرُ الشوكُ
بشماتةٍ
إلى أعناقِ الورودِ المقطّعة
14 /12 /1993 عمّان

*

تَنْطَفِيءُ الشمعةُ
وأشتعلُ بجسدكِ
ما مِن أحدٍ

يحتفلَ بالظلام

13 /9 /1993 عمّان

*

كل زفيرٍ
يُذَكِّرُني..
كمْ من الأشياءِ عليَّ أنْ أطردَها
من حياتي

15 /11 /1993 عمّان

*

النصلُ الذي يلمعُ
في العتمةِ
أضاءَ لي وَجْهَ قاتلي

4 /3 /1994 عمّان

*

على جلدِ الجوادِ الرابحِ
ينحدرُ..
عرقُ الأيّام الخاسرة

6 /11 /1993 عمّان

*

الشعراءُ الأقصرُ قامةً
كثيراً ما يضعون لقصائدِهم
كعوباً عالية

1993 عمّان

*

كثرةُ الطعناتِ
وراءَ ظهري
دفعتني كثيراً
.. إلى الأمام

5 /11 /1993 عمّان

*

أيُّتها الوردةُ

في الذبولِ الأخيرِ

لِمَنْ تلوَّحين الآن....!؟

29 /11 /1993 عمّان

وداعاً..

أقولُ: وداعاً

نهارَ القصيدةِ، تشطبُهُ الطائراتُ على لوحةِ الأفقِ

بيتي، الذي يَرِثُ الشِعرَ والسُلَّ

ذاكرتي، هذّبتها المعاولُ

أسماءَنا، في الجرائدِ تمسحُ فيها المنظُّفة القرويَّةُ

نافذةَ الفندقِ الرثِّ

أقفاصَنا، تتوسَّعُ، أو تتقلَّصُ، حَسْبَ مزاجِ العَصَافير

.....

.....

أقول: وداعاً

وداعاً...

ويا زورقَ العُمْرِ، اُمْخُرْ عبابَ انتظاري

وفُجَّ مياهَ التصبِّر، كي تصلَ الجزرَ المستحليةَ..

... بين دمي ورحيلِكِ – سيِّدتي -

وطنٌ لا يُباعِدُنا أو يُقرِّبُنا...

حُلُمٌ عالقٌ تحتَ أجفانِنا...

زمنٌ...

ينتهي...

دائماً...

بخساراتِنا

3 /4 /1992 الكوفة – 25 /9 /1992 بغداد

بكائية لامريء القيس

بكى صاحبي
لمّا رأى الوطنَ ـ القلبَ، تنهشُهُ الطائراتُ
تُنَقِّرُ في نبضِهِ، قطعاً من ضلوعِ المنازلِ.. والشهداءِ
فأدرِكَ أنّا انتهينا إلى حجرٍ
سوفُ نَحْمِلُهُ ـ في المنافي ـ رصيفاً لأزهارِنا الذابلةْ
يُضَيِّقُ بين السطورِ وأحلامنِا
وأنَّ الندوبَ التي خلَّفتها الحروبُ على جلدِنا
سوفَ تطمسُها السافياتُ
صحتُ:
يا صاحبي
في الضياعِ الكبيرِ
أَعِنِّي على غربتي
بين نفسي وبيني
بلادكَ ضيَّعتها..
وانتهيتَ..
وها أنتَ مثلي
أضعتَ الدليلَ إلى بابِ روما
رأيتُ الجنودَ يَسُدُّونَ كلَّ المساربِ دونَ الحدودِ
فآخيتُ بين الرمالِ، وقلبي
وقلتُ:
هو الدربُ أبعد مِمَّا نظنُّ..
إلى قَيْصَرٍ
.....
.....
سَنَضْرِبُ في التيهِ
ضربَ القمارِ
فإمّا نرى البحرَ ـ يا صاحبي ـ

أو نموتُ معاً، غربةَ..
... في الرمالْ

9 - 10 /9 /1992 بغداد

مرايا متعاكسة

أحياناً

... يوقفني وَجْهي في المرآةْ

أنتَ تغيَّرت....

..... تغيَّرت كثيراً

أَتطلَّعُ

مذعوراً

لا أُبْصِرُ في عينيَّ

سوى شيخٍ

يتأبَّطُ عُكَّازَ قصائدهِ

... متجهاً

نحو البحرِ

يتَمَرْأَى

في صفحتِهِ الزرقاءْ

فيرى في أعماقِ الموجِ

ولداً في العشرين

يتطلَّع

مبهوراً

في وَجْهِ المرآة...

لا يدري الآنْ

أيّهما كانْ!؟

18 /7 /1990 بغداد

رفيف

قهوتي مُرَّةٌ
وصباحُكِ من عسلٍ
تَفْتَحينَ قميصَكِ
للبحرِ:
حيثُ النوارسُ غافيةٌ بعدُ..
يندلقُ الموجُ - مرتبكاً -
فوق كفّي
أُمَشِّطُ شَعرَكِ من ذهبٍ ونُعَاسٍ
وحينَ تتيهُ المرايا
تتيه يدايا
سأجلسُ فوق الأريكةِ
منتعشاً برَذَاذِ المطرْ

بغداد 1992/ 10/ 13

غيمة الصمغ

أقولُ: غداً
أتمدَّد فوقَ النهارِ الفسيحِ
يظلّلني الغيمُ لا الطائراتُ
أُفتِّشُ بين القنابلِ والطينِ
عمّا تَبَقَّى من العُمرِ والأصدقاءِ
أعبُّيء في رئتيَّ الشوارعَ والياسمينَ
وأمضي إلى البيتِ، دون بياناتِ حربٍ
تقطُّع حُلْمي إلى جثثٍ ومخاوف
[أَيّها القلقُ المبتدا
أَيّها الوطنُ المنتهى
كلُّ ما نملكُ
وطنٌ مِثْلُ أحلامِنا
وهوىً يهْلِكُ.....]
وأنا في عراءِ القذائفِ،
مَنْ أرتجي؟
رافعاً للسماءِ إنائي
أُوزِّعُ - بين ثقُوبِ المواضعِ - وَجْهي
وهذا الفضاءَ القتيلْ
منكمشاً، مثل طيرٍ بليلْ
يمرُّ الرصاصُ الأخيرُ على جسدي
فيطرُّز أيَّامهُ بزهورِ الخرابْ
سأرتُق في إبرِ الأمنياتِ
قميصَ شبابي الذي قُدَّ من جهةِ القلبِ
فتفتقُهُ الطلقاتُ
مَنْ يلمُّ الشظايا - غداً -
حينما تنتهي الحربُ، مرغمةً؟
مَنْ يُعِيدُ لأرملةِ الحربِ زهرتَها اليانعةْ؟

أتسلّل محترساً، تحتَ جنحِ الحنين
نحو غُصْنِ البلادِ الذي يتفتَّق للتوِّ
أو يتيبَّس للتوِّ
وأقارنُ بين غُصُونِ الربيعِ
وبين غُصُونِ القذيفة
وأقولُ: صباحَ البلادِ
التي علَّمتنا التشتُّت
بين كراسي المقاهي العتيقةِ، والاعترافِ المُكَهرَبِ
بين البيوتِ الخفيضةِ، والمرأةِ الغادرةْ
سوفَ تحشرنا في المواضعِ
ملتصقين، بصمغِ المخاوفِ....
نرقبُ الأفقَ:
أسودَ.....
يخضرُّ بالأملِ – العُشْبِ، تحصدهُ الطائراتْ
أو أزرقاً....
سوف يحمرُّ من دمِنا
فتصادرهُ اللافتاتْ
أو رماداً بطيئاً
سيرسبُ في الروحِ
شيئاً، فشيئاً
كما الذكرياتْ

النجف 1987 /21/4

هذا الألم.. الذي يُضِيءُ

ما أنْ أجلس على الكرسيِّ -ذاتَ نهارٍ مشمسٍ-
صالباً ساقيَّ اللتين شوّهتهما الحربُ
ومحدِّقا في بريدِ الشوارعِ وهو يحمِلُ لي بطاقاتِ الأصدقاءِ المفقودة، والكسلَ،
والباصاتِ المسرعةَ، وغيومَ الدهشةِ..
مسترجعاً أمام عينيكِ السوداوين تاريخَ حُزني الطويل
وبمجرِّد أنْ أرمشَ جفني
تتساقطُ صورُ القنابلِ بَدَلَ الدموع
كفاكِ تحديقاً في مرايا عيوني..
لقد بكيتُ كثيراً، أكثرَ مِمَّا يجبُ
أكثرَ من كميةِ الدموعِ المخصصةِ لحياتي
والآنْ..
عليَّ أنْ أبتسمَ أمامَ مرايا المطعم الفخمِ، الذي تطأهُ أقدامُ دهشتي لأولِ مرِّة،
محاطاً بذراعكِ نصف العارية..
بينما يُغَطِّي الفروُ الثمينُ نصفَ العالمِ الشهيّ
اتركيني - لدقائق -
رَيْثَما يهدأُ هذا الهلعُ الذي يَسْكُنُني
منذ دخلتُ – سهواً – رصيدكِ العاطفي
اتركيني - لساعات -
ففي داخلي سنواتٌ من الوحلِ والهلعِ والرصاصِ
لن تمسحَها يافطةُ النادلِ الأجنبيِّ، وهو ينحني بأدبٍ جمٍّ،
ليزيلَ قطراتِ القهوةِ التي أَسقَطَها اِرتباكي
على قماشِ الطاولةِ الأبيضِ
كان عليَّ - على الأقلِّ - أنْ أُحدِّثَكِ قبل هذا
عن بساتين طفولتي التي حرثتها أسنانُ البلدوزرات والمجنزرات
عن قلبي الذي ما زال يرتجفُ على الأرصفةِ، كلّما مرَّ به ما يُشْبِهُ شَعرَها الطويل
عن القنابلِ التي حفرتْ ذكرياتها على ملامحي
عن نساءِ الصالونات اللواتي تضاحكن لرؤية حذائي المغموسِ بالطين

عن الأرصفةِ التي شرّدتني في الإجازاتِ القصيرةِ { المسروقةِ}
والأشجار التي اختبأتْ في مساماتِ جلدي أثناء القصفِ
عن السنواتِ المرِّة التي تركتْ طعمها عالقاً على شفتيَّ..، حتى هذه اللحظة
من عصير أناناسكِ وفنجانِ قهوتي
كفاك تحديقاً في مرايا عيوني
أَعْرِفُ.. أَعْرِفُ.. أَعْرِفُ
أَعْرِفُ ذلك...
هذه الذكريات ضيَّعتْ حياتي تماماً
أَعْرِفُ، هذه القصائد التي غاصتْ معي في البِرَكِ،
وحملتها في الملاجيء والمقاهي والدروب
سَتَبْقى معي أينما ارتحلتُ
أَعْرِفُ، هذا القلب سيضيُّع ما تَبَقَّى منِّي
لقد تورُّطت..
تورُّطت تماماً..
ورغم ذلك فلستُ على استعدادٍ
لأنْ أُبَدِّلَ حياتي بأَيَّةِ حياةٍ على الاطلاقِ
فأنا أملكُ هذا الألمَ الذي يُضِيءُ

انكسارات حرف العين

- فصل أول -

ماذا جنيتَ يا حرفَ العينِ. أَعْرِفُ أنَّكَ خسرتَ كثيراً حتى الحقول، وأنَّ القصائدَ المخبَّأة في أدراجِكَ سيقرضها الفأرُ، فلا يبقى منها سوى أرقامِ الباصاتِ. وحيداً تصعدُ سُلَّمَ المجلّة إلى المحاسبِ، يتبعكَ حشدُ الدائنين... المُؤَجِّرُ الشرهُ ذوَ الكرشِ التاريخيِّ يُفصِّلُ شُهرتَكَ الأدبيَّةَ على مقاساتِهِ أو شيكاتِهِ فيموتُ من الضحكِ. لماذا أيُّتها القصيدةُ الصافيةُ يَحْدُثُ هذا؟ لماذا يا أُمّي نسيتِ أنْ تَخِيطي قميصي المفتوقَ من أولِ الرصيفِ حتى لوركا... قميصي سُخريَّةُ التلاميذِ، والمعبرُ إلى الغاباتِ المحشورةِ في بنطالي. وفيما بعدُ سأُدرِكُ أنَّنِي خسرتُ كثيراً بسببِ حماقاتي وصدقي لا بسببِ التبذيرِ أو الكتبِ، كما تقول أُمّي، وسأخسرُ الوظيفةَ (هكذا تضيفُ أيضاً).. أمّا النوافيرُ، أمّا أنتِ، أمّا مِسْبَحَةُ أبي، أمّا البلهارزيا، أمّا الطائراتُ، أمّا اللافتاتُ، أمّا نون وفضل خلف جبر، أمّا عريفُ الإعاشةِ، أمّا أحلامي التي خسرتها بالتقسيط، أمّا كذبُ الشَعرِ الطويلِ على سريري، أمّا قرصُ الأسبرين، أمّا آخر المحطّات، أمّا أجمل عينين على الإطلاق، أمّا دُكّانُ شعبون، أمّا مِئْذَنَةُ النبي يونس، أمّا سنواتُ اليتم والكراجاتِ والحبِّ، أمّا الشِقَّةُ رقم (1)..، أمّا أمطارُكِ ومصابيحُ الجسرِ، أمّا المصطباتُ الوَحيدةُ والبقُّ، أمّا الأميرة، الأميرةُ الفاتنةُ، الأميرةُ الفاتنةُ الحبيسةُ بين جُدرانِ اللهاثِ والبصلِ وبرامج التلفزيون، أمّا بوريس باسترناك، أمّا لوحاتُ رابحة، أمّا جداريةُ فائق حسن، أمّا البالون، أمّا الفلافلُ، أمّا مركبُ رامبو السكران، أمّا صديقي بهجوري، أمّا ما سيَحْدُثُ بعد عشر دقائق أو عشر سنوات، فلا مناصَ لي من الندم، لا مناصَ لي من كتابةِ الشِعرِ حتى الفجيعةِ، لا مناصَ وإلّا سأجِفُّ كسمكةٍ فاسدةٍ في بحيرَةِ التَذَكُّرِ الآسنةِ، لا مناصَ لي من السعالِ والضجرِ وحبِّكِ...

من أجلِ ماذا - إذاً - أنَّكَ مضيتَ إلى الخرابِ؟ أَمِنْ أجلِ حفنةِ قصائدٍ سيقرضها الفأرُ والمُؤَجِّرُ، أم من أجلِ شَعركِ الطويلِ الذي يملأُ الآنَ سريرَهُ... يا لحياتي من تاريخٍ بكاءٍ سِرِّيٍّ، يا لحياتي من جبلٍ شاهقٍ يتسلّقُهُ رجلٌ وحيدٌ مجنونٌ... يا لحياتي من إدْمَانِ امرأةٍ واحدةٍ...

يا لحياتي -إذاً- من حياةٍ مضاعةٍ... خذوا أيّامي كلَّها، قسّموها بينكم أيّها الدائنون:

قسطاً للشِقَّةِ، قسطاً للزوجةِ والأطفالِ، قسطاً للكتبِ، قسطاً للوظيفةِ، قسطاً للأصدقاءِ، قسطاً للذكرياتِ، قسطاً للتسكّع، قسطاً للمخاوف، قسطاً لبائع الخضراواتِ، قسطاً...، قسطاً...، قسطاً، قسّموها بينكم -أرجوكم- واتركوا لي حِصَّةَ الشوارع. الشوارع وحدها ملكي. الشوارع لي وحدي. لي وحدي أنْ أُحصِي طوابقَ ناطحاتِ الأفقِ، وأختارُ واحدةً لسقوطِ أحلامي وتمزّقها على الرصيفِ أمام منبّه السَيَّارةِ العابرةِ... ياه (ما لرجل المرور يضحكُ أيضاً)... تلك السَيَّارةُ دهستْ أحلامي. ها هو نثارُ اللحمِ والدمِ يُغطّي الإسفلتَ... أنحني لألملمَ الأشلاءَ المتناثرةَ وسطَ دهشةِ المارّةِ وشتائمِ أصحابِ السَيَّاراتِ... (رجلُ المرورِ يكفُّ عن الضحكِ فجأةً... يَتَقَدَّمُ منِّي ملوِّحا بدفترِ الغَراماتِ).. الشوارعُ الغبيَّةُ. الشوارعُ التي تُفرِّقُ بين دهسِ طفلٍ ودهسِ حُلْمٍ. الشوارعُ التي تسلّلتْ كالنساءِ من جيبي المثقوبِ ولمْ تتركْ لي حتى عنوانها. الشوارعُ التي... يا لغبائي كيفَ لمْ أُدركْ أنَّها تغيَّرت الآن، كيفَ لمْ أُحِس برودةَ أصابعها عبرَ أسلاكِ الهاتفِ، كيفَ لمْ أُدركْ أنَّها فضَّلتْ قرصَ الأسبرينِ على قصائدي، كيف لمْ أنتبهْ إلى منديلِ ذكرياتنا وهي تمسحُ به زجاجَ الشِقَّةِ الجديدةِ بعد أنْ جفَّفَتهُ من دموعي...، كيف لمْ أنتبهْ إلى كلِّ هذا قبلَ العاشرةِ صباحاً، فأقول لها: لا بأسَ عليَّ، فلي غربةُ الفنادقِ والخيباتِ وملامةُ الأصدقاء... لي ألبومُ صورها ومرايا شَعرها الطويل والندم... وهذا يكفي رجلاً شاعراً

مثلي..

البحث عن عنوان

خذْ ثمانيةَ أعوامٍ من عُمري، وصفْ لي الحرب
خذْ عشرين برتقالةً، وصفْ لي مروجَ طفولتي
خذْ كلَّ دموعِ العالمِ، وصفْ لي الرغيف
خذْ كلَّ زهورَ الحدائقِ، وصفْ لي رائحةَ شَعرها الطويل
خذْ كلَّ البنوكِ والمعسكراتِ والصحفِ، وصفْ لي الوطن
خذْ كلَّ قصائدَ الشعراءِ، وصفْ لي الشاعر
خذْ كلَّ نيونِ مدنِ العالمِ وشوارعها الصاخبةِ،
وصفْ لي لذَّةَ التسكِّع على أرصفةِ السعدون
خذْ كلَّ شيءٍ، كلَّ شيءٍ...
وصفْ لي نسيمَ بلادي
أمّا أنا فغير محتاجٍ لكلِّ هذا...
تكفيني قنينةُ حِبْرٍ واحدةٌ لأُضِيءَ العالم
يكفيني رغيفٌ ساخنٌ من تنّور أمّي
لأتأكَّدَ من حداثتي
أُقِرُّ أنَّ الكلماتِ امتدادٌ لأصابعي
وأنَّ الحدائقَ امتدادٌ لشَعرها الطويل
أُقِرُّ أنَّ القنابلَ علّمتني الكثيرَ
أُقِرُّ أنَّ القنابلَ مسحتْ الكثيرَ من أحلامي أيضاً
أُقِرُّ أنَّ القنابلَ لا تكذبُ {كما تفعلُ البياناتُ والقادة}
خذْ إذاً كلَّ القنابلِ وصفْ لي بشاعةَ الحربِ
خذْ كلَّ نزيفِ الحربِ... وصفْ لي سلامَ بلادي
أمّا أنا فغير محتاجٍ لكلِّ هذا
يكفيني أنْ أضعَ يدي في جيوبِ بنطالي
وأتمشّى في الشوارعِ المشمسةِ
أَصْفِرُ للأشجارِ والعابراتِ والبناياتِ العاليةِ وبائعي الصحفِ
لأتأكَّدَ من نهايةِ الحربِ...
يكفيني أنْ يُخْطِيءَ ساعي البريد عنواني

فأتذكّرُ عشرات القنابلِ التي أخطأتْ عنواني
(أَعْرِفُ أيضاً أنَّ عنواني كثيراً ما ضاع في زَحْمَةِ أرقامكِ والأسماءِ والعناوين السريعةِ
فما عدتِ تتذكَّرينه كثيراً..
أمّا أنا فما أنْ أضعَ أطرافَ أصابعي
على جانبي الأيسر
حتى تدلُّني أنفاسُ الدروبِ عليكِ...)

آخر المحطَّات.. أول الجنون

- هي..؟

- لا....

في الطريقِ المؤدِّي لموتي الأخيرِ

اِنْكَسَرَتُ على حافةِ النافذةْ

فتشظَّيتُ فوقَ المقاعدِ

لملمني نادلُ البارِ – وهو يلوكُ أغانيهِ – والفضلاتِ

تلوكُ المدينةُ بعضي

وبعضي توزَّعَ في الثكناتِ

(السنينُ شظايا..

ولحمي عراءْ..)

ما الذي صنعتْ فيكَ هذي المدينةُ

أين ستمضي بهذا الخرابِ الذي هو أنتَ..

(تتكيءُ الآن فوق الأريكةِ

.. ساهمةً

رُبَّما هي تُصغي لنبضِ العصافيرِ فوق الغُصُونِ

رُبَّما ستقلّبني كالمجلّاتِ..

أو رُبَّما...)

- سأقنعُ نفسي بأنَّكِ لستِ التي..

- .....

ها أنتَ منكسرٌ كالمرايا

ومنتثرٌ كالشظايا

تحاولُ أنْ تنتقي وطناً للجنونِ

فيفاجئكَ الحرسُ الصَلفون

ينامون

بين قميصِكَ، والنبضِ

(- ماذا تحاولُ..؟

أو تَحْلُمُ الآن..؟

- .....

لا شيءَ.....)

أنتَ؛ يا أيّها الولدُ الصعبُ، ما لكَ محتدماً هكذا

تُفتِّشُ في المصعدِ الكهربائيِّ عن وطنٍ

وتنامُ على حجرٍ في الرصيف

كأنَّ الذي

- بين جنبيكَ -

زئبقَـــ [لا] ـــقلبَ...

.....

.....

- هي... ؟

- لا...

- شَعرها..!

.. انكسارُ الندى في الجفونِ!

وهذا الطريقُ اللذيذُ إلى الشفتين..!

- قد تتوهُّم.. أنتَ تراها بكلِّ النساءِ

- ولكنَّها...

- رُبَّما يُخطِيءُ القلبُ - يا سيِّدي – مرَّة

إذْ يزاحمهُ الهمُّ..

- لا

.. الرمادُ يُغطِّي المدينةَ والقلبَ..

(ها أنَّنِي في شظايا المرايا، ألملمُ نفسي

مقعدٌ فارغٌ

وزمانٌ بخيلْ..)

- .. إنَّما حَدَسي لا يخيّبني

سأقولُ لكلِّ الشوارعِ: إنِّي أُحِبُّكِ

أهمسُ للعابراتِ الجميلاتِ فوق مرايا دمي المُتكسِّرِ:

إنِّي أُحِبُّكِ

للياسمينِ المشاغبِ،

للذكرياتِ على شَرفةِ القلبِ:
..... إنِّي أُحِبُّكِ
للمطرِ المتكاثفِ،
للواجهاتِ المضيئةِ،
للأرقِ المرِّ في قدحِ الليلِ،
للعُشْبِ،
للشجرِ المتلفِّع بالخوفِ،
للقمرِ المتسكِّع تحت جفونكِ:
إنِّي أُحِبُّكِ...
.....
.....
.....
الصبيُّ المشاكسُ شاخَ...
وأنتِ... !؟
أما زلتِ مجنونةً برَذَاذِ النوافيرِ
أَذكُرُ كنّا نجوبُ الشوارعَ
نَحْلُمُ في وطنٍ بمساحةِ كَفِّي وكَفِّكِ
لكنَّهم صادروا حُلْمَنا..
ها أنا الآنَ، أنظرُ من شقِّ نافذةٍ
للشوارعِ
وهي تَضِيقُ..
تَضِيقُ
تَضِيقُ
فأبكي...
(غرفةٌ موحشة
ورقٌ وذُبابْ
وبذلةُ حربٍ.. عَلاها الترابْ)
.....
.....

اجلسي، رَيْثَما تستردَّ القصائدُ أنفاسَها
فأحكي لعينيكِ
حتى يَحُطَّ على شُرفةِ الرمشِ
طيرُ النُعاسِ
سأبدأُ من أولِ الحربِ
أو آخرِ الحبِّ
هل نبتدي هكذا:
غيمةً في كتابٍ يقصُّ الرقيبُ عناوينَ أحزانِها
زهرتين تضجَّان من فرحٍ أَبْيَضٍ..
وغماماً بخيلْ
أم تُرى ننتهي بالزمان القتيلْ
سأبدأُ:
مرَّ المحبّون
- تحت غُصُونِ المواعيدِ، ذابلة -
وانتظرتكِ..
مرَّ الجنودُ المستجدُّون للحربِ
مرّتْ خطى الفتياتِ، فساتينُهنَّ القصيرةُ كالأمنياتِ
نيونُ الشوارعِ، والحافلاتُ...
فما التفتَ القلبُ..
إلّا لهمسِ خطاكِ
على شارعِ الذكرياتِ الطويلْ
اجلسي، رَيْثَما تستردُّ دموعيَ أنفاسَها
والزمانُ فواتيرَهُ
(كأنَّ الذي مرَّ
سبعُ دقائق
لا سنواتٌ مُثقَّبةٌ
بجنونِ انتظاري)
لا الذكرياتُ
ولا الشِعرُ

لا النَدمُ المرُّ...
يُرْجِعُ ما قد تساقطَ من ورقِ الحبِّ
اجلسي رَيْثَما.....
.....
عيوني دُوارٌ كثيفٌ
وأرصفةٌ
ونثيثُ مطرْ
(سأحكي لها عن بصاقِ المدينةِ
عن صحفِ اليومِ، والحربِ،
والمصطباتِ الوحيدةِ، مثلي...)
وأقولُ لكلِّ المحطّات: إنَّكِ باقيةٌ
وأقولُ لقلبي: بانّك لنْ تتركيني كما الأخريات
فيوهمني الصيفُ أنّك محضُ سحابٍ
وأنّك أبعدُ مِمَّا توهُّمت
إنَّ القصيدةَ أبعدُ مِمَّا تصوُّرت

أمسية شِعرية

دخلَ
الشعراءُ ال-.. { رسميُّون}
إلى القاعةِ
واكتظَّ الحفلُ
لكنَّ الشِعرَ،
... غريباً
ظلَّ أمامَ البابْ
بملابسِهِ الرثَّةِ
يمنعُهُ البوَّابْ

اِرتباك

ما الذي سيقولُ صحابي
إذا ما رأونيَ في ساحةِ الموعدِ
أهشُّ ذُبابَ الدقائقِ عن صحنِ وَجْهي الدَبِقْ
الشوارعُ تنفثُ سمَّ عماراتها في الوجُوهِ الغريبةْ
وبغداد لا مصطبةْ
(ها أنَّنِي أتحسَّسُ همسَ الأصابعِ،
- خلفَ النوافذِ -
حمراء
تُشْعِلُني رغبةٌ مبهمةْ..)
وأرقبُ في زَحْمَةِ الوهمِ
وَجْهَكِ
يبسمُ لي،
أو يقدُّم أعذارَهُ
أو يهمهمُ...
(أنتِ تسيلين فوقَ المرايا
فيشربكِ العابرون
ووحدي،
ضللتُ الطريقَ
إلى شفتيكِ)
دمي يتفصَّد فوق الزجاجِ
وأنتِ.. (- أَعدتَ إلى السُكْرِ... ؟)
(- إنَّ الرجالَ بذيئون جداً أمام الجميلاتِ)
.. قلتُ لها:
- أين يمكنُ...
فارتبكتْ
وأشارتْ إلى الشجرِ الملتصقْ
قربَ نبضي..

رأيتُ النوافذَ مفتوحةَ..
والسماءَ تنفُّض أوراقها من بقايا الغَسَقْ
قلتُ: نشربُ بعضَ العصيرِ المثلّج
أو نتحاورُ...
ما لكِ واجمةً هكذا..... !؟

.....

.....

.....

.....

كان..
خلفَ
الشُجَيراتِ..
ظلٌّ قميءْ!!

لا اسمَ للحرب

يبدأُ الوطنُ -الآنَ- من جملةٍ
نصفُها مَضَغَتها المطابعُ
فالتمسي في دمي كلمةً، لا يُشَوِّهُها أحدٌ
أُغَنِّي بها وطني، من شُقوقِ المواضعِ والقلبِ
حيث ينامُ الجنودُ على يَطَغَاتِ الحنينِ المُبلَّلِ
ملءُ جفوني، انكسارُ الندى، والبلادُ
وملءَ البلادِ، افترشنا أغاني الخنادقِ والعُلَبَ الأجنبيةَ
تحطبُنا الحربُ:
مرَّ عريفُ الإعاشةِ، والطائراتُ الوطيئةُ
مرَّ شتاءُ الطفولةِ، والقَمْلُ
مرَّ الصباحُ الحديديُّ فوق زجاجِ النُعاسِ
فشظّى تَرَقُّبَنا لنهارٍ جديد
لمْ يغتسلْ بعدُ من طمثِ القصفِ
مرَّ ثلاثون موتاً على موتِنا،
وقنبلةٌ واحدةْ
فاقتَسَمنا على طاولاتِ التوابيتِ،
خبزَ البقاءِ المُثقَّبَ،
والشايَ
مرَّ الندمْ
إصبعاً، إصبعاً،
ستُقطِّعُ كفَّ طفولتِنا، الحربُ
تمضي بنا - في غرورِ المقاولِ - نحوَ مساطرِها
وتبيعُ الذي لن نبيعَ
تُجوِّعنا، ونكابرُها بالوطن
وتُشتِّتُ أيَّامنا، فنشاغلُ أيَّامها بالتمنِّي
وإذْ تستجيرُ طيورُ الحنينِ
بأعشاشِ أحزانِنا

سوف نبكي على { وطنٍ}
ضيَّعوه...
فضعنا

طلقة

يهبطُ الغُصْنُ.. ثانيةً
ثم يصعدُ
والبلبلُ المتأرجحُ منشغلٌ بالغناءْ
طلقةٌ...!
جُثَّةٌ...!
يقفُ الغُصْنُ، مرتجفاً
لحظةً
ثم يَسْكُنُ....
تصمتُ ـ في الغابِ ـ
كلُّ البلابلْ

السليمانية 1985/ 1/ 24

ساحة ميسلون...

على قلقٍ...
أو على موعدٍ من رمادْ
يَعبُرُ الباصُ...
(هل تذكُرين حماقاتِ قلبي... ؟)
على مقعدين نديَّين، مرَّتْ بنا الطُرُقاتُ...
..... سماءُ المدينةِ
.....والأثلُ
ما كنتُ أَذكُرُ غيرَ الرَذَاذِ اللذيذِ لشَعرِكِ
هل أُوْصِدُ النافذةْ... ؟
لا.....
(نوافذُ قلبي بدون رتاجٍ
وأنتِ بلا قلب
والحافلاتُ بلا ذاكرة...)
يبطيءُ الباصُ حينَ يمرُّ على ميسلون
يتَلَفَّتُ للواجهات،
لمبنى الحكومةِ،
للشجرِ المتشابكِ،
... للمنتهى... ،
للغريبِ ببنطالهِ الرثِّ (ماذا جنيتَ من الشِعرِ... ؟
قال المُفوَّضُ لي،...
والفتاةُ الأنيقةُ...)
يلتفتُ الراكبون...
إلى زهرةٍ من دمي
ذابلةْ
تتناثرُ أوراقُها...
تحتَ وَقْعِ خطى الوقتِ، والعابرينْ
إلى رجلٍ من ضبابٍ،.. وحيدْ

يشيرُ لعابرةٍ
(تشيرُ الفتاةُ...
إلى واجهاتِ المخازنِ
أو ...)
اتَّفقنا إذنْ... !؟
في الخميس... !؟
الخميسُ التصاقُ دمي في المرايا
الخميسُ له نكهةُ الذكرياتِ القديمة، والطرقِ الهائمةْ
الخميسُ انكساري الجميلُ على قمرٍ...
أو على نافذةْ
.....
.....
تتقاطعُ كلُّ الشوارعِ، في ميسلون
وقدْ تتقاطعُ في راحتي، ميسلون: مخازنُها، والبيوتُ الأليفةُ
قد ننتحي جانباً...
أرقاً، في انتظارِ القصيدةِ
أو قلقاً، في انتظارِ النساءِ الجميلاتِ
أو ننتشي بالأغاني الأخيرةْ
.....
.....
قلتُ يمضي بيَ الباصُ، حيثُ النهاياتُ.....
يمضي إلى أيِّما حانةٍ
أو إلى طرقٍ لا تُؤَدِّي لشيء
.....
(النهاياتُ موحشةٌ كالعدمْ
النهاياتُ مثل المحطّات
مثل النساءِ الجميلاتِ
مصطبةٌ،
أو فمٌ،

أو سأمْ)
قلتُ يمضي بيَ الباصُ، أو...
لا.....
.....
(إلى أين تمضي بروحِكَ حافلةُ العصرِ...
والعجلات)
تتشابهُ كلُّ المدائنِ والطُرُقات
في عيونِ الغريب
وقد تتشابهُ -في راحتيه- الدقائقُ، كلُّ الفنادقِ
والأوجهُ العابرةْ
غير أنَّ لكلِّ شريدٍ، هواهُ وغربتهُ
.....
.....
ووحدي، تغربلني الطُرُقاتُ
تغربلني نظراتُ النساءِ
فيسُّاقط القلبُ مثل الندى (ألا تَذكُرين الندى
ومصاطبَ قلبي..؟)
على عُشبِ الذكرياتِ...
فترتعِشُ النجمةُ النائمةْ...
.....
غيَّرتك المدينةُ، حاناتها،
وجرائدها،
والنساءْ
أَتُرى حين تأوي إلى كأسِكَ المرِّ
في آخرِ الليلِ
تَذْكُرُ نخلَ القرى
وتَحِنُّ إلى قمرٍ في الجنوبْ

بغداد الجديدة 1986/ 5/ 25

هواجس لا تعني أحداً

يكفيني
- في هذا العالمِ -
يكفيني
بيتٌ من طين:
بنوافذَ من بحرٍ
وشجيراتٍ وارفةٍ
لا يقفُ الدائنُ في عتبةِ بابي – آخرةَ الشهرِ –
ولا...
تكفيني كِسْرَةُ خبزٍ بمساحةِ قلبي
وكتابْ... !
فلماذا يحتجُّ الناسُ على حُلْمي؟
ويكيدُ ليَ الأصحابْ
أنا لا أطمحُ في كرشٍ منفوخٍ
وعماراتٍ
لا أطمعُ أنْ أتسلَّقَ أعناقَ الخُلَّانِ
... إلى طاولةٍ فخمة
ورباطٍ للعنقْ
فلماذا تتسلَّقُ عنقي المهزول؟
يا خِلّي... !
وتفكُّر، من أيِّة منطقةٍ،
يَصلحُ للشنقْ
*
لكَ كلّ الأشياءِ
ولي هذا الحُلْمْ
لكَ – يا خِلّي – صخب العالم،
هذا المجنون على إيقاعِ الديسكو،
... والأضواءِ

ولي صمتُ الليل
فلماذا حاولتَ بأنْ تسرقَ من بيتي
ضوءَ الشمعة؟
لكَ كلّ الصالاتِ،
الحفلاتِ،
النسوةِ،
والندلِ الليليين...
ولي مصطبةٌ باردةٌ في آخرةِ المشتل
لكَ أموال الدُنيا...
- آهِ -
ولي فقْرُ الشِعر
فلماذا حاولتَ بأنْ... .....
.....
....!؟

4 /6 /1985 السليمانية – جوارتا

في المكتبة

هدأتْ قاعةُ المكتبةْ
والضجيجُ المهذَّب، والهمهماتْ
الفتاةُ التي ابتسمتْ
إذ دخلتُ
وكانتْ تبادلني النظراتْ
غادرتْ..
ها هو كرسيُّها فارغٌ مثل روحي..
وما عادَ ذو النظّارتين، المكبُّ على الأَسْطُرِ الصفرِ
يسعلُ..
أو يرقبُ البابَ، منتظراً حُلُماً لا يجيء
والمقاعدُ
ما عادَ يربكها الازدحامُ الجميلُ..
وهمسُ التلاميذِ من خللِ الصفحاتْ
.....
.....
تَلَفَّتُ..
كنتُ وحيداً، أمامَ الكتابِ الذي بعدُ لمْ ينتهِ
وكانتْ «موظَّفة الاستعارةِ»، تَرمُقُ ساعتَها
ثم تَرمُقُني بارتباكٍ لذيذْ
.. ...
.. ..
.....

كانون الثاني 1985 - السليمانية

تساؤل خاص

بين الكرسيِّ المكسورِ، وطاولةِ القلب
فكَّرتُ بحالِ الشِعرِ، وحالي
ما جدوى أنْ تَسَعَ العالمَ
في بيتٍ شِعْريٍّ
وتعيشُ بلا بيتٍ
ما جدوى أنْ تحتضنَ الفتياتُ دواوينَكَ
لكنَّكَ لنْ تحضنَ، في آخرةِ الليلِ... سوى الأحلامْ
ما جدوى أنْ يتصدَّرَ اسمُكَ أعمدةَ الصفحاتِ..
ويَعرِفُكَ القُرّاءْ
لكنَّكَ حينَ تمرُّ أمامَ المطعمِ
لنْ يَعرِفَ منك سوى بنطالٍ رثٍّ
يجلِسُ – كلَّ مساءٍ – منعزلاً، قلقاً
لا يَجْرُؤُ، أنْ يطلبَ...
أكثرَ من صحنِ حَسَاءْ

الثانية بعد منتصف الليل 28 /6 /1985 جوارتا – السليمانية

مصادفة[16]

قلمٌ
مرَّ على ورقةْ
مرّ وما سَلَّمَ،
ما أحنى لمفاتنِها عنقهْ
لمْ يَعرِفْ ما بين حناياها القلقةْ
من شوقٍ أَخَّاذٍ
للحبِّ،
ولمْ تفهمْ نزقهْ
كغريبين، معاً،
مرّا...
وافترقا...
رجلاً يتَسَكَّع
وامرأةً مُحْتَرِقَةْ

الكوفة 1984 /7/6

. نشرت في مجلة «ألف باء»، ع 859 في 13/3/1985.

أُغنياتٌ.. لها

الدربُ طويلٌ، يا بنتَ حميدِ المرعب، يبدأُ من نقطةِ حِبْرٍ سقطتْ فوق قميصكِ - هذا المترفِ، كالثلجِ، كزهرةِ قدّاح لمْ تتفتّحْ – ذاتَ صباحٍ تشرينيٍّ، في الصفِّ.. ويبدأُ من سحبٍ ماطرةٍ، رحلتْ من بين أصابعِ كفّي، وهي تَمُدُّ إليكِ بأُولى أشعاري، المسكونةِ باللوعةِ، والرعشاتِ الأولى...

كانتْ أشجارُ الرُمَّانِ ببستانِ أبيكِ، توشوشُ للحارسِ عمّا نفعلهُ تحتَ الأغصانِ! وتَحْفَظُ أشعاري

وأنا أَذكُرُ – ما زلتُ – خطانا الحَيْرى في «حَيِّ الأنصار»، وخفقَ نوارسِ قلبي حين تَحُطُّ على جسرِ الكوفةِ قبل ذبولِ الشفقِ الورديِّ، وهمسَ الجاراتِ أمامَ بيوتِ الحارة، حين أمرُّ غريباً مُتَّشِحاً بالوجدِ

أرقبُ شُبَّاكِكِ - من بُعدٍ - وأُحدِّثُ قلبي:

يا هذا المتشرِّد تحتَ نثيثِ الأمطارِ.. تَمهَّلْ

هل ما زالَ بصدرِ العالمِ مُتَّسعٌ للحبْ..؟

الدربُ طويلٌ..

يا نفسي الصاعدَ والنازلَ..

والعُمرُ قصيرٌ.. أقصرُ من فُسْتَانِ مراهقةٍ، عَبَرَتْ واجهةَ المقهى، تتبعها النظراتُ الولهى..

وأنا أتبعُ خيطَ دمي... ينسابُ على الأوراقِ البيضاء ببطءٍ أَخَّاذٍ

وأنا ما لي، ومراهقةٍ عَبَرَتْ - قبلَ قليلٍ - واجهةَ المقهى

أوشكَ أنْ يفرغَ كيسُ العُمرِ

ولمْ أَكْتُبْ للآنَ قصيدةَ شِعرٍ تَسَعُ الحُزنَ البشريَّ، وجوعَ العالمِ..

لكنَّ العالمَ

ينسى في زحمتهِ المنكودةِ، أحزانَ الإنسانِ المنكودِ

وينساني...

وأنا أَعْرِفُ أنَّ الوردةَ حين تموتُ

ستسحقها الأقدامْ!!

لكنَّ العِطْرَ سيبقى يملأُ قارورةَ قلبي...

*

الدربُ طويلٌ، يا بنتَ المرعبِ، يا شجرَ الحُزنِ المورقَ في روحي

فضعي كفَّكِ في كفّي.. نمضِ تحت الأمطارِ المجنونةِ، مرتعشين من الوجدِ، وبوحِ اللمساتِ الأولى...

نَدخُلَ سوقَ «السراي»
نُفتِّشُ بين رفوفِ الكتبِ المصفرِّة..
عن حُزنِ العالمْ..
عن أشعارٍ لمْ تُنشرْ للسيّابْ
وعن موتِ الكلماتِ بهذا العصر..
فتغيمُ الأمطارُ المنسيَّةُ في عينيها،.. وهي تقلُّب بؤسَ العالمِ في الأوراقِ المصفرِّة
هل تَعِبَتْ سيِّدتي..؟
هل تَعرفُ أنَّ حضارةَ هذا العالم يحكمها السكِّين..؟!
لكنَّا نختارُ ـ قريباً من جسرِ الصرّافية ـ مصطبةً فارغةً، نَجلِسُ - تحت رَذَاذِ الحبِّ الناعمِ – ملتصقين
تتماوجُ دجلة... خيطاً أزرقَ
يمتدُّ - وديعاً - من عينيها الصافيتين
..... حتى قلبي

الكوفة 8 /10 /1983

أُمّي

لأُمّي -إذا انسدلَ الليلُ- حُزنٌ شفيفٌ، كحُزنِ الحدائقِ.. وهي تُلملمُ في آخرِ الليلِ، أوراقَها الذابلةْ
لأُمّي؛ سجَّادةٌ للصلاةِ،
وخوفٌ قديمٌ من الدركيِّ،
تُخبِّئنا -كلّما مرَّ في الحيِّ- تحتَ عباءتِها
وتخافُ علينا عيونَ النساءِ،
وغولَ المساءِ،
وغدرَ الزمانْ
لأُمّي؛ عاداتُها.. لا تُفارِقُها
فعندَ الغروبِ، ستُشْعِلُ «حَرْمَلَها»، عاطراً بالتمائمِ،
يطردُ عن بيتنا الشرَّ - كانتْ تقولُ - وعينَ الحسودْ
وكلّ ثلاثاء..
تمضي إلى مسجدِ السهلةِ
توزِّع خبزاً وتمراً
وتنذرُ «للخضرِ» صِيْنِيَّةً من شموعٍ،
إذا جاءَها بالمُرادِ
ستُوقِدُها -في المساءِ-
على شاطيءِ الكوفةِ
فأُبْصِرُ دمعتَها تتلألأُ تحت الرُموشِ البليلةِ
منسابةً...
كارتعاشِ ضياءِ الشموعْ
ألا أيّها النهرُ...
رفقاً بشمْعاتِ أُمّي
فنيرانُها... بعدُ لمْ تَنْطَفِ
ويا سيِّدي «الخضر»...
رفقاً بدمْعاتِ أُمّي
ففي قلبِها...
كلُّ حُزنِ الفراتْ

*

لأُمّي، مِغْزَلُها

يَغزِلُ العُمرَ...

خيطاً رفيعاً، من الآهِ

كانتْ تَبُلُّ أصابعَها - إذا انقطعَ الخيطُ من حَسْرةٍ -

ثم تَفْتِلُهُ...

فمَنْ ذا الذي، سوف تَفْتِلُ خيطَ الزمانِ...

إذا ما تقطَّع بالآهِ ـ يا قُرَّةَ العينِ ـ

مَنْ ذا...؟

فما زلتُ في حضنِها...

الناحلَ القرويَّ المشاكسَ

أبكي إذا دارَ مِغْزَلُها بالشجونِ..

وأسمعُها في الليالي الوحيداتِ تشدو

بصوتٍ رخيمٍ:

«لبسْ خَصْر العجيج وخصر ماروجْ

أنا روّجني زماني قبل ما اروجْ

ولكْ لا تخبط الماي... يا روجْ

بعد بالروح عتْبه ويه الأحبابْ..

.....

لبس بالراس هندية وشيلهْ

ودموع العين ما بطلنْ وشيلهْ

تمنيت الترف.....

.....

.....»

.....

وأُبْصِرُها خلْسَةً...

ثم أرنو لقلبي..!

أما زالَ يُشْجِيكَ موُّالها

كلّما دارَ فيكَ الزمانُ... ودارَ

ومرَّتْ على دربِكَ الآنساتُ الأنيقاتُ.. يا صاحبي
وهي ترنو لمرآتِها!!
جدول الشيبِ ـ يا للشماتةِ ـ
ينسابُ مُتَّئِداً في المروجِ
فمَنْ يُرْجِعُ العُمرَ - هذا السرابَ الجميلَ -
ولو مرَّة..؟!

الكوفة 28 /6 /1983

في المقهى...[17]

ودَلَفْتُ إلى مقهى الأدباءِ.. وحيداً، مرتبكاً، أتحاشى نظراتِ الشعراءِ الملتفين على بعضهمُ، وحواراتِ النُقّاد... وجدتُ لنفسي كرسيًّا مهترئاً.. أتردَّدُ بعضَ الوقتِ، وأجلسُ منحشراً قربَ دمي المتوجِّس، أرنو لوجُوهِهمُ مُلتذّا.. أتذكَّر أنّي أبْصَرتُ ملامحَ بعضهمُ تتصدَّرُ أعمدةَ الصحفِ اليوميَّةِ، والكتبَ الزاهِيَةَ الألوانِ... سعلتُ قليلاً من بردِ الطُرُقاتِ، وأقبيةِ الأعوامِ الرطْبةِ، والريحِ!... خشيتُ بأنّي سأعكّر صفوَ تأمُّلِهمْ بشحوبي وسعالي...

حاولتُ بأنْ أَتَلَهَّى بتصفُّحِ ما بين يدي من صحفِ المقهى...

كانتْ نفسُ الأوجهِ تبرزُ من خللِ الأَسْطُرِ، تحدجُني ببرودٍ لمْ أفهمْهُ!...

جاءَ النادلُ... لمْ «يتواضعْ» أحدٌ أنْ يطلبَ لي شاياً!

فطلبتُ من النادلِ... أنْ يأتيني بالبحرِ، وزقزقةِ الغاباتِ المنسيَّةِ في كُرّاسات طفولتنا، ورسائلِ حُبِّي الأولى تحت وسادةِ بنتِ الجيرانِ، ونوحِ نواعيرِ أغانينا فوق ضفافِ الكوفةِ، والقمرِ الحالِمِ، والدِفْلَى، وأراجيحِ العيدِ، وركضِ الصبيةِ تحتَ رَذَاذِ المطرِ العذبِ، وأشعارِ الحبِّ المخبوءةِ في قمصانِ التلميذاتِ، ورائحةِ البرديْ.....!

هزَّ النادلُ كَتفيهِ ذهولاً، ومضى يضحكُ من أحلامي المجنونةِ..

– لا بأسَ!... سأطلبُ شاياً!

كان المقهى يغرقُ في ثرثرةِ الروَّادِ، وغيمِ سجائرِهم،..

وأنا وحدي أغرقُ في غيمِ دمي الماطرِ فوق الأوراقِ، وأرصفةِ العالمِ،.. منشغلاً بقصيدةِ حبٍّ بائسةٍ بدأتْ تَنقُرُ نافذةَ القلبِ – بكلِّ هدوءٍ – وأحِسُّ خطاها تتسَلَّلُ عبرَ دمي والأدْغالِ المصفرِّة..

قلتُ لعلَّ الفاتنةَ الدلِّ تُشارِكُني طاولتي، والغربةَ!..

في خجلٍ.. أخرجتُ – من المعطفِ– أوراقي البيضاءَ كقلبي...

حدجتني الأعينُ!.. وابتدأتْ هَمَساتُ النُقّاد، الشعراء، تحاصرني...

لمْ أتمالكْ نفسي..! لملمتُ بقايا أوراقي، وخرجتُ إلى الشارعِ – مندفعاً – تحت نثيثِ الأمطارِ وريحِ الغربةِ والكلماتِ المجنونةِ.. أبحثُ عن طاولةٍ هادئةٍ في هذا العالمِ...

تكفي لقصيدةِ حبٍّ بائسةٍ،

وأغاني رجلٍ جائعْ

7 /2 /1984 بغداد

. أُلقيتْ في اتحاد الأدباء العراقيين - بغداد 7 /11 /1984.

زهرةُ عَبَّاد الشمس

معتادٌ، حين أعودُ وحيداً، ثَمِلاً
في منتصفِ الليلِ
أنْ أُشعِلَ مصباحَ ممرِّ البيتِ
وأَدْلِفُ...
وكعادتها،
تستيقظُ زهرةُ عَبَّاد الشمس
تَتَمَطَّى
– في كسلٍ –
فوق بساطِ العُشْبِ المعتم
تلوي العنقَ بعكسِ الريح
تَتَلَفَّتُ، ظامئةً،
حائرةً
مندهشةْ..
تبحثُ عن ضوءِ الشمس
حتى تيأسَ
أو تنعس
تتذكُّر أنَّ الساعةَ منتصف الليلِ
فتغمضُ جفنيها...
وتنامْ..!

6 /6 /1984 في الحديقة – الكوفة

حقائب الغد

أقولُ: غداً
سوفَ أشرعُ نافذتي للعصافيرِ
أرنو إلى شجرِ البرتقالِ،
يطاولُ جُدرانَ بيتي العتيق
وأدهشُ:
(.. آهٍ..
متى كَبُرَ البرتقالُ
وأزهرَ رأسي بقدِّاحه، والهمومِ)
وأُبْصِرُ وَجْهي المجعَّدَ،
... يَكْسِرُ حُلْمَ المرايا...
التي خدعتني
(... وكيفَ تسلَّقَ جُدرانَ قلبي، وشاخَ
وأغصانُهُ، بعدُ، مثقلةٌ بالندى الحلوِ
والزقزقات)
أقولُ: غداً..،
سَأُرَتِّبُ أَثَاثَ عُمري كما أشتهي
أنفُّض عنها غبارَ الشجونْ
وأمسحُ عنها القلقْ
وأصنعُ لي فسحةً للهدوءِ،
وطاولةً للكتابةْ
(... إلى مَ تظلُّ القصائدُ مثلي مشرَّدة؟
في المقاهي...
وأرصفةِ الذكرياتِ
تُقاسِمُني حُزنَها
وأُقَاسِمُها البردَ، والجوعَ، والأمنياتِ
أما آنَ أنْ نستريحَ معاً... !؟ ...)
أقولُ: غداً...

سوفَ أجمعُ كلَ نثاري
الملمُ ما قد تبعثرَ من كتبي، وعناوينِ صَحْبي، المواعيدِ،
أحلامِ عُمري (كومضِ النجومِ البعيدةِ...
أرقبها، تتوهُّج في عتمةِ الليلِ، أو تَتْطَفِي في الصباحْ... !)..،
رمادِ الرسائلِ،
بوحِ النساءِ،
الندى...
أقولُ غدا...
غدا...
دا ...
.....
ويأتي الغَدُ
مثقلاً بالمشاغلِ...
يتركُ في عتبةِ البابِ، أحزانَهُ والحقائبَ
(... . كمْ أتعبتني الحقائبُ مثقلةً)
وكعادتهِ، سوفَ يرنو لخيباتنا، هازئاً، ساخراً
ثم يمضي...
بدون اكتراث!

السليمانية 1984/ 10/ 5 الجمعة

ريح

للحُزنِ نافـذةٌ -في القلبِ- سيِّدتي
وللمس-اءاتِ.. أشعـارٌ ومصباحُ
معتّـقٌ خـمرُ أحـزاني.... أيشـربهُ
قل-بي، وفي كلِّ جـرحٍ منه أقـداحُ
تُسَافِرُ الريحُ -وَيْلِي- في ضَفـائِرِها
ومَنْ يطـاردُ ريحـاً كيفَ يرتـاحُ!؟

5 /10 /1981 بغداد - مقهى في الأعظمية

سلاماً.. يا جسرَ الكوفة

يا جسرَ الكوفةِ.. اذكرْني
إنْ مرَّتْ محبوبةُ قلبي
تسألُ عَنِّي النهرَ.. وأشجارَ النارنجِ
وكلَّ عصافيرِ حديقتنا
في عينيها الضاحكتين.. قرأتُ قصائدَ حُبِّي الأولى
ورأيتُ مروجَ بلادي.. تضحكُ تحتَ الشمس
وكتبنا – يا لله – معاً..
فوق جُذُوعِ نخيلِ الكوفة..
اسمينا المرتعشين
هل تذكُرُ – يا نخلَ الكوفة – موعدَنا الأولَ
هل تذكُرُ أشعارَ السيابِ.. وعينيها الماطرتين..
.. وقلبي
هل تذكُرُني..!
كنتُ صبيَّاً
أجلسُ تحت ظلالِ التوت
منتظراً.. خطوتها الخجلى
في وَجَلٍ عَذْبٍ
أَكْتُبُ فوقَ سياجِ حديقتهم..
.. بعضاً من أبياتي
عَلَّ مُعَذِّبتي.. تقرأُها
.. حينَ تمرُّ..!
فترقُّ.. لحالي
*
يا جسرَ الكوفةِ..
لو تدري..
يا جسرَ الأشواقْ
..... كمْ أشتاقْ

قَسَماً... لو أبْصِرُها
سأعانقُ.. كلَّ عمودٍ
وأبوسُ.. نخيلَ الكوفةِ
جِذْعاً.. جِذْعاً
وأذوبُ عِناقْ!
*
يا جسرَ الكوفةِ
خَبِّرْني.. عن محبوبةِ قلبي
اِحمِلْ – كالريحِ – سَلامي
اِملأْ عيني.. بظلالِ ضَفائِرِها
دَعْني – يا جسرُ – أعبُّ أريجَ المشمشِ والرُمَّانْ
خَبِّرْني.. إنْ مرَّتْ فوقَ الجسرِ
تُحَيِّي.. المارِّينَ
وتسألهمْ عَنِّي
وأنا في الخيمةِ..... !
كنتُ أُحدِّثُ «جسَّام» الجالسَ قُربي
.. عن ذاتِ الثوبِ الأزرقِ
.. والكوفةِ
.. والنارنجِ
*
كان ضياءُ القمرِ المتسرِّب – يا جسرَ الكوفةِ –
من بين شُقوقِ الغيمِ...
يُذَكِّرُني.. بأغانيها
تسهرُ في الليلِ معي
أحلامُ مدينتِنا..
وأزِقَّتُها..
وحدائقُها..
ومصابيحُ شَوارِعِها
فأرى عينيها الشاعرتين

- من بين شَقوقِ القلبِ العاشقِ -
تتهمرانِ سَنىً...
من فرطِ الوجدْ
فلماذا – يا جسرَ الكوفةِ – لا ترحمني عيناها في البُعْدْ
ولماذا حينَ تمرُّ الريحُ بليلِ ضَفائِرِها
يَرتعِشُ العِطْرُ الجوريُّ، بسندانةِ قلبي
.. ويشبُّ الوردْ!
ولماذا حين أُغَنِّي.. باسمكِ
تصدحُ كلُّ عصافير العالم في غاباتِ فمي
ولماذا حين أُحدِّقُ في عينيكِ الضاحكتين
أُبْصِرُ كلَّ مروجِ بلادي، تتماوجُ تحتَ الشمسِ
..... بلا حدْ!

مقاطع

(1)

أنتِ أحلى.. وكلُّ نبضي اشتياقُ
أنتِ أحلى.. وفي دمائي العراقُ
أنتِ.. هذا الصباحُ.. يأتي بهيًّا
في بلادي.. فللعذابِ انْعِتاقُ
شَعرُكِ الحلو.. غابةٌ من أمانٍ
كمْ تغنّى بفيئِها.. العشُّاق
روعةُ النخلِ.. أم قوامُكِ هذا
والمساءُ الشفيفُ.. أم أحداقُ
أنا هذا الفراتُ.. نبضٌ.. وشِعرٌ
ونخيلٌ.. وزورقٌ.... و{ ائْتلاقُ}
لكِ قلبي.. لكلِّ نخلِ بلادي
لكِ عُمري.. وكلُّ عُمري عِناقُ

(2)

ماذا يَحْدُثُ

في شكلِ العالمِ!؟

ماذا يَحْدُثُ لو....!

بدلاً من أنْ تزرعَ في صدري طلقةْ

تزرع..

في قلبي..

وردةْ...!؟

(3)

أُحِبُّ الشوارعَ... يا ميمُ

كلَّ الشوارعِ.. تلكَ التي مشَّطَتها مع الليلِ..

أقدامُنا الضائعةْ

بلا غايةٍ..

غير أنْ نتقاسمَ بوحَ المصابيحِ..

والشِعرَ..

والذكرياتِ الجميلةْ

وتلكَ التي بعدُ لمْ نتسكّعْ بها..!

أُحِبُّ المقاهي.. جميعَ المقاهي

وحيثُ جلسنا نثرثرُ في كلِّ شيءٍ

نُحدِّقُ في الواجهاتِ المضيئةِ..

في الطُرُقاتِ البليلةِ..

في العابرين

ونشربُ.. قهوتَنا.. في انتشاءْ

أُحِبُّ الحدائقَ.. كلَّ الحدائقِ

حيثُ ركضنا... وراءَ الفَراشاتِ

حيثُ استرحنا، على العُشْبِ، من تعبٍ رُبَّما

أو لأقرأَ شِعري..

إليكِ

أُحِبُّ الشجيراتِ.. كلَّ الغُصُونِ التي ظلّلتنا

بأفيائِها
وحيثُ كتبنا على ضفَّةِ النهرِ.. موعدَنا
وحيثُ اختبأنا.. من المطرِ المتساقطِ – ذاتَ مساءٍ
وكان الرَذَاذُ اللذيذُ.. يُبَلِّلُ شَعرَكِ
ينسابُ كالخَدَرِ الحلوِ.. فوقَ جبينِكِ
فنغرقُ في بَلَلِ القَبلاتِ
وحيدين في الظلمةِ الرائعةْ
أُحِبُّ..
أُحِبُّ..
لأنِّي أُحِبُّكِ

أشياء .. عن علوان الحارس

كانَ يُحِبُّ نوارسَ دجلة
والسمكَ المَسْكُوفَ.. على الشطِّ
وأورادَ الجوري.. تتفتُّح – في الليلِ –
كأوراقِ القلبِ
على شُرفةِ محبوبتهِ الفارعةِ الطول
كانَ يُحِبُّ أغاني «حسين نعمة»
والمشيَ على أرصفةِ السعدونِ.. وحيداً
تبهرُهُ أضواءُ الصالوناتِ.. وسِرْبُ السَيَّاراتِ المجنونةِ..
.. والسيقانُ.. ورائحةُ «الهمبرگر»
كانَ يُحِبُّ نثيثَ الأمطارِ
يُبَلِّلُ أثوابَ الفتياتِ
فيركضنَ.. كغُزْلانٍ شاردةٍ
نحو مظلَّتِهِ
ويكركرنَ.. إذا راحَ يُغنِّي:
«يا بو زبون الحَمَرْ... ومطرّز بإبرة
كل الشرايع زلگ... مِنْ يَمِّنَه العبرة»
آه... يا مطرَ الله
تساقطْ
حتى يمتليءَ العالمُ..
بالأزهارْ
*
وإذا جنَّ الليلُ..
اِحْتَضَنَ «الكَسْرِيَّةَ»
ثُمَّ استقبلَ ليلَ الطُرُقاتِ.. نحيلاً
كمصابيحِ الحارةِ
أطلقَ صفَّارتهُ..
يجرحُ صمتَ مدينتِهِ الغافيةِ العينين.. { على} وَجَلٍ

– نامي – بأمانٍ – يا أجفانَ الأطفالِ
فَعَمُّكُمُ علوانُ الحارس.. يُشعِلُ عينيهِ بقلبِ الظلمةِ
ويمرُّ على حارتنا..
بيتاً.. بيتاً
– .. ها.. مصباحُ الصائغ..... لمْ يُطْفَأْ
ما زالَ كعادتهِ.. حتى منتصفِ الليلِ..
يقلِّب أوراقَ قصائدِهِ
- لِمَ تعوي خلفَ خطايَ كلابُ الدربِ
وتنسى أحلامي النجمةْ
اللعنةْ!
مَنْ لا يَعرِفُ علوان الحارس في منتصفِ الليلْ
*
أُبْصِرهُ.. يَدْلِفُ للمقهى
مشتعلاً بعذاباتِ طفولتهِ
مدرسةٌ طردتهُ...
وكوخٌ.. من قصبِ البردي والطين
وفانوسٌ يسعلُ في البردِ
وأشياء أخرى..
يتُّخذ الآنَ.. برُكْنٍ منعزلٍ
مقعدَهُ
مرتشفاً كوبَ الشايِ – على مهلٍ –
يتأمَّلُ من خلفِ زجاجِ المقهى
موجَ الناسِ المتدافعَ نحوَ الفجرِ
ينهضُ مبتسماً
يغرقُ وسطَ زِحامِ الشارعِ
مفتوناً.. بصباحاتِ الوطنِ المشمسِ
..... والأزهارْ

مَنْ أين تأتي القصيدةُ؟

وأحتارُ..
كيفَ تجيءُ القصيدةْ؟
وتَضْرِبُ – كالموجِ – شطآنَ قلبي
... بلا موعدٍ
تتكسَّرُ.. فوقَ رمالِ الوَرَقْ
ثم ترحلُ.. نحو الضفافِ البعيدةْ
وتتركني... والقَلَقْ
*
..... ومن أين تأتي القصيدةُ؟
ما اسمها..؟
وأسألُ كلَّ الدروبِ:
أمرَّتْ عليكنَّ..
سيِّدتي العابثة؟
وأسألُ كلَّ الصحابْ:
مَنْ رأى حلوتي في القميصِ الموشَّى بحُلْمِ النُجَيْمَاتِ؟
..... راكضةً
في بساتين قلبي
وكنتُ أطاردُ – منذ الطفولةِ –
خلف أريجِ ضَفائرها..
متعباً
فتراوغُني...
ثُمَّ تفلتُ منِّي،... مشاكسةً
فاللعينةُ.. تَعرِفُ أنّي أموتُ... إذا خاصمتني
لذا سوفَ تتركني.. هائماً
– طولَ عُمري –
كسيرَ الخُطى.. خلفَها
وتذوبُ بموجِ الزِحامْ

*

أنا أَعْرِفُها..

بشرائطِها البيضِ.. والنظرةِ الناعسةْ

تتسكَّع فوق الرصيفِ المقابلِ حُزني

وتغمزُ لي..

- من وراءِ الزجاجِ الشفيفِ -

فأترُكُ كأسي

وثرثرةَ الصَحْبِ حولي

.. وأُغنيةَ البارِ

أتبعها ثَمِلاً..

في الحدائقِ

في المكتباتِ المليئةِ

في الطُرُقاتِ التي أقفرتْ بعدَ منتصفِ الليلِ

في المصطباتِ الوحيدةِ.. مثلي

فلا شيءَ..

غيرُ حفيفِ الغُصُونِ..

وخطوي

وحين أعودُ..

إلى شِقَّتي..

متعباً.. خائراً

سوف تَتقُرُ نافذتي

– هكذا بهدوءٍ –

وتجلسُ... فوقَ سريري...

وتتركُني... والأَرَقْ

الشاعر عدنان الصائغ ولد في الكوفة، العراق، عام 1955. يُعد واحداً من أكثر الأصوات المبدعة من أبناء جيله الشعري. شعره يدين دمار الحروب وأهوال الدكتاتورية. صدرت له إحدى عشرة مجموعة شعرية، بما في ذلك «نشيد أوروك» بـ 550 صفحة (بيروت 1996).

غادر وطنه عام 1993، وعاش في عمان، وبيروت ثم لجأ إلى السويد عام 1996. ومنذ عام 2004 وهو يعيش في منفاه اللندني.

حصل على العديد من الجوائز الدولية؛ من بينها: جائزة هيلمان - هاميت الدولية للشعر (نيويورك 1996)، وجائزة مهرجان الشعر العالمي (روتردام1997)، وجائزة اتحاد كتاب جنوب السويد (2005).

تلقى دعوات لقراءة قصائده في العديد من المهرجانات في أنحاء العالم.

وتُرجمت مختارات من أشعاره إلى لغات عديدة، وصدرت بعضها في كتب: السويدية، الإنجليزية، الفرنسية، الفارسية، الإسبانية، الهولندية.

صدرت له المجموعات الشِعرية:

1. انتظريني تحت نصب الحرِّية – ط1 بغداد 1984.
2. أُغنيات على جسر الكوفة – ط1 بغداد 1986، ط2 القاهرة 2011.
3. العصافير لا تحبُّ الرصاص – ط1 بغداد 1986.
4. سماء في خُوذة – ط1 بغداد 1988، ط2 القاهرة 1991، ط3 القاهرة 1996.
5. مرايا لشَعرها الطويل - ط1 بغداد 1992، ط2 عَمّان - مدريد 2002.
6. غيمة الصمغ - ط1 بغداد 1993، ط2 دمشق 1994، ط3 القاهرة 2004.
7. تحت سماء غريبة – ط1 لندن 1994، ط2 بيروت 2002، ط3 القاهرة 2006.
8. تكوينات – بيروت 1996.
9. نشيد أوروك «قصيدة طويلة» – ط1 بيروت 1996، ط2 بيروت 2006. (بـ 549 صفحة).
10. تأبَّطَ منْفى – ط1 السويد 2001، ط2 القاهرة 2006، ط3 بغداد 2015، ط4 كندا 2017.
11. و.. – ط1 بيروت 2011، ط2 بغداد 2015.

- «الأعمال الشِعرية» – ط1، 2004 - عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت (مجلد بـ 752 صفحة).

- «الأعمال الشِعرية» – (بثلاثة مجلدات) – ط2، 2017 - عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت، بالاشتراك مع دار ومكتبة سطور في بغداد.

Adnan al-Sayegh was born in al-Kufa, Iraq in 1955 and is one of the most original voices of his generation of poets. His poetry denounces the devastation of wars and the horrors of dictatorship. Adnan has published eleven collections of poetry, including the 550-page Uruk's Anthem (Beirut 1996). He left his homeland in 1993, lived in Amman, and Beirut then took refuge in Sweden in 1996. Since 2004 he has been living in exile in London.

He has received several international awards; among them, the Hellman-Hammet International Poetry Award (New York 1996), the Rotterdam International Poetry Award (1997) and the Swedish Writers Association Award (2005), and has been invited to read his poems in many festivals across the world.

His poetry has also been translated into French, Italian, Swedish, Spanish, Norwegian, Romanian, German, Danish, Persian and Kurdish.

The following collections of Adnan's poetry have been published:

1. Wait for me under the Statue of Liberty (Baghdad, 1984).
2. Songs on the Bridge of Kufa (Baghdad, 1986; Cairo, 2011).
3. Sparrows Don't Love Bullets (Baghdad, 1986).
4. Sky in a Helmet (Baghdad, 1988; Cairo 1991 and 1996).
5. Mirrors for Her Long Hair (Baghdad, 1992; Amman and Madrid, 2002).

6. Cloud of Glue (Baghdad, 1993; Damascus, 1994; Cairo, 2004).
7. Under a Strange Sky (London, 1994; Beirut, 2002; Cairo, 2006).
8. Formations (Beirut and Amman, 1996).
9. Uruk’s Anthem (Beirut, 1996, 2006 and 2017).
10. To Cuddle My Exile (Sweden, 2001; Cairo, 2006; Baghdad, 2015; Canada, 2017).
11. And (Beirut, 2011; Baghdad, 2015).

ADNAN AL-SAYEGH

THIS PAIN THAT SHINES

POEMS I LOVED

عدنان الصائغ

هذا الألمُ الذي يضيء

قصائد أحببتها

Steeped in the great literary traditions not just of his own country but also those of the wider world, Adnan al-Sayegh is a poet in the profoundest sense of the word – a seer, a sage, a seeker after the truth and an antennae for the often silenced voices of the oppressed and persecuted. Like Gilgamesh who 'saw the Deep, understood everything', he is sometimes a lone voice in the wilderness, seeing life through apocalyptic visions and nightmares, but always with intense compassion towards human suffering and the ability to remind us that ultimately it is the strength of beauty, creativity, understanding and tolerance that will prevail.

Jenny Lewis - *Poet and teacher of poetry of Oxford University* -

.. مُنغَمِساً في التراثِ الأدبيِّ العظيمِ، ليس في بلدِهِ فحسبُ، بل وعلى اتساعِ العالمِ، ذلك هو عدنان الصائغ، شاعرٌ، بعمقِ ما تحملُهُ الكلمةُ من معنى، الرائيُّ، الحكيمُ، الباحثُ عن الحقيقةِ، يستشعرُ الأصواتِ المكتومةِ غالباً للمقهورين والمضطهدين. كما جلجامش؛ الذي «أبصرَ الأعماقَ، وعرفَ جميعَ الأشياءِ». إنَّهُ أحياناً الصوتُ المتفرِّدُ في البريةِ، مُبصراً الحياةَ من خلالِ الرؤى الرهيبةِ والكوابيس. لكن وأبداً مع التعاطف الشديد تجاه العذاباتِ الإنسانيةِ، والقدرةِ على تذكيرِنا في نهايةِ المطافِ أنَّ قوةَ الجمالِ والإبداعِ والإدراكِ والتسامحِ هي التي سوف تسودُ.

الشاعرة جني لويس – أستاذة الشعر في جامعة أكسفورد –

ISBN: 978-1-78871-001-5

9 781788 710015

دار عرب للنشر والترجمة

DAR ARAB FOR PUBLISHING & TRANSLATION